ما يخبئه الفراش

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: ما يخبئه الفراش**
- **المؤلف: رضوى رأفت**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2019 / 27746**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-88-1**
- الغلاف: ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

ما يخبئه الفراش

رواية

رضوى رأفت

www.bbibliomania.com

2019

إهداء

إلى صديقتي العزيزة سندس " سلاما لكِ حين أزف لكي إنجازا أو نجاحا يخصني ، دائما تطالعيني بفخر وكأن عينك تحتضني ، و كأنكِ أنتِ من فعلها "

إلى صديقتي بدور التي لم تفلت يدي أبدا في ليالي وحدتي...أحبك جدا

*****

مقدمة

هذه هي حكايتي وحكاية كل فتاة ، ستجدين نفسك بين سطوري ، أعلم أن لكل منا رواية ، أعلم بما تشعرين عندما تذهبين إلى الفراش في ليالي وحدتك الكئيبة، بالرغم من وجود العديد و العديد من الأناس حولك، ولكن لم تجدي من بينهم من يفهمك جيدا، أخصهم بالذكر جميعا، سأبدأ من ... تلك الفتاة الصغيره التي لم يفهم أحد حجم المعاناة التي تتعرض لها من التنمر في المدرسة بسبب زميلتها التي سخرت من شعرها المجعد وصولا إلى جارتي التي دخلت في علاقة حميمية مع شاب جامعي، ولا تعلم كيف تتخطى تلك المرحلة ، أنا جميعكن، أنا أشعر بما تشعرن ، أنتن كثيرات ولكني كلكن .

تتميز عمارتنا بالكثير من القصص والليالي المظلمة ، لقد بكت الجدران على كلا منا، في كل مرة تجبرنا الظروف على تحمل ما لا نطيق، نتذكر كل الردود القاتلة، وكل كلمة جارحة ، نتذكر جميع الكدمات المتروكة على أجساد بعضا منا ، ولكن ما كان يهون علينا الحرب تلك الجلسات النسائية الخاصه جدا ، جمعينا يعاني ويحارب أمرا ما، ولكن على طريقته الخاصة، تلك المشاكسه الصغيرة كهرمان التي كانت تعطي للجلسات نكهة من نوع فريد جدا بجمالها الخاص الذي كانت تنكره دوما، وذكائها المفعم بكثرة الأسئلة.

أما عن أمها ليلى فكانت المصلحة الاجتماعية الخاصة بعمارتنا، وكانت خير أم، أتمنى لو أكون ابنتها ، كان بيتها يشع البهجة والفرح، فكل ركن فيه تشعر بالدفء والحنان والأمان .

كانت جارتنا فيدان من الشخصيات كثيرة الشرود ، كتومة ، كان يبدو على وجهها دوما علامات الحزن الشديد ، كانت في السابعة والعشرون من عمرها، ولكن بكارة قلبها لم تفض

بعد، رغم أنها متزوجة ، لا أعلم كيف يأخذ البيت طابع صاحبه ، كان بيتها مثلها بمجرد أن تخطو خطوة فيه تشعر بكثير من الغموض والكآبة والحزن .

حور كانت شديدة الجمال ولكن لم تكن تسري الأمور مثلما تريد دوما ، جارتنا فاتن كانت تقول لها دائما المثل الشهير (الوش وش وردة والبخت بخت قردة)

بيتها يشع الكثير والكثير من الحرية والمرح في جميع أرجائه بسبب الألوان الكثيرة المتناسقة مع بعضها البعض .

نسيت أن أخبركم من هي فاتن، (فاتن) هي أم فريدة، تلك الفتاة المتمردة كانت تعاني من أمها لأنها من الشخصيات كثيرة التحفظ، وكانت فريدة تعاني من هذا الأمر كثيرا، بيتهم تقليدي بحت كدار مهمل منذ فترة طويلة من الزمن....أما عن مدام فيروز فكانت أمنا جميعا، هذه المرأة عانت الكثير في حياتها، ولكن رغم ذلك لم تفقد أبدا لغتها الخاصة جدا، ورذانتها في التحكم بالأمور ، بيتها يشع منه جميع الروائح الطيبة للطعام الشهي جدا ، بمجرد أن تخطو خطوة فيه ستشعر وكأنك في منزل جدتك الحنون ...أما أنا (أسمهان) فكنت المالك لهذه العمارة التي تركها لي والداي بعد موتهما ، منزلي بسيط للغايه مثلي . كل شارع بمحطة الرمل له قصة معنا.. نعم مثلما توقعت نحن من سكان الاسكندرية ..أشعر بالفخر لأن في جيرتي هؤلاء النسوة المثبرات المحاربات

*****

الفصل الأول

"مأساة الشعر المجعد"

انتقلت ليلى للعيش في الاسكندرية منذ حوالي تسع سنوات....عندما تزوجت من (مالك) ، كانت ليلى من أكثر الشخصيات الناجحة في هذه العمارة من جميع جوانب الحياة، فهي كانت قدوة لكل من يراها ، نتج عن قصة حبها تلك الساحرة الصغيرة (كهرمان) .

كنت عندما أراها هي وزوجها فورا أتذكر قيس وليلى وتلك المقولة التي تأثر قلبي بها، " سألوا قيس بن الملوح من أحق بالخلافه بنو هاشم أم بنو عباس ؟

فأجاب ليلى "

كان مالك شديد التعلق بطفلته التي كانت تبلغ من العمر سبعة أعوام ، بدأت شخصية كهرمان تتغير عندما دخلت تلك المدرسة اللعينة ، بدأت تكره وجهها الملائكي، وبالأخص خصلات شعرها المجعدة

كنا نحاول جميعنا معرفه السبب وراء كل هذا الغضب الذي أصبحت عليه كهرمان، ولكن أعلم جيدا أن ليلى ستجد سبيل لمعرفة ما يدور داخل قلب طفلتها

*****

اجتماعتنا كانت يوميه في روف البناية في حدود الساعة الثامنة مساءًا ، عندما تنهي كلا منا ما تفعله.

كانت ليلى تعمل في شركتها الخاصة للدعم النفسي، وكان زوجها طبيب بشري .

فيدان كانت ربة منزل، أما عن زوجها فاروق فكان يعمل محاسب في أحد البنوك المرموقة، أما عن جميلة العمارة (حور) فكانت تعمل محامية، وكانت تعيش بمفردها،

فاتن كانت تعمل مدرسة لغة عربية ، فريدة كانت في الصف الثاني الثانوي ، وكان لها أخ يصغرها بحوالي سنة، كان يدعى (فجر) ، أبوهما (صالح) كان يعمل نجار،

مدام فيروز كانت طباخة العمارة، وكانت تعمل على توفير بعض المال من خلال تلك الموهبة الشهية... أما عني أنا فكنت في السنة الرابعة من كلية الإعلام .

كنت كثيرة التنقل بين القاهرة والاسكندرية لعدم توافر كلية الإعلام في الاسكندرية .

يوم الجمعة كان مميز جدا بالنسبة لنا..يوم الإجازات الرسمية بالنسبة لنساء العمارة .

كان اليوم المخصص للرقص، أو العناية بأنفسنا بطريقتنا الخاصة .

*****

الأحد في تمام الساعة السابعة صباحا .....

تودع ليلى طفلتها المنهارة من البكاء لرفضها التام للذهاب إلى المدرسة .

حاولت ليلى مرارا معرفة السبب وراء هذا الاستياء، ظنت ليلى في بداية الامر ان ذلك من تعلقها الشديد بها، ولكن بدأت في الشك أن كهرمان تتعرض لشئ أكبر منها .

ـ مالك أنا أشعر بالقلق على كهرمان .

ـ حاولت أن أتحدث معها كثيرا ولكن بلا جدوى .

ـ سأذهب معها إلى المدرسة غدا لأفهم ماذا يحدث .

ـ أعلم جيدا أنكِ ستعرفين السبب ، أنا لا أشعر بالقلق ، وجودك يشعرني بقدر كبير من الأمان،ثم قام بتقبيل يدها ...

ـ أنا و كهرمان بحاجة إليك يا مالك .

ـ عندما نفخ الله في رحم أمي كان لأجلك يا ليلى ، أنا لا أستطيع أن أتخيل حياتي بدونكما ، هيا يا ساكنة القلب حضري حالك لكي لا تتأخري عن العمل، وأنا في المساء سأقوم بالذهاب مع كهرمان في نزهة و أحاول معرفة ما بها .

*****

تجمعنا في المساء كالعادة وعلى ألحان أم كلثوم الرائعة، بدأت ليلى تحكي حجم المعاناة الذي تشعر بها ابنتها.

سألت حور في تهكم

ـ أخبريني يا ليلى ماذا عليك أن تفعلي؟ ، التأخير في هذه الأمور ليس في صالحنا.

ـ بالطبع لن أترك الأمر أبدا ، ذهب معها مالك في نزهة و إن شاء الله ستحكي له ما بها .

ـ من وجهه نظري عليك أن تذهبي معها إلى المدرسة .

ـ هذا ما كنت أنوي فعله

ردت مدام فيروز ....

ـ سمعتك تقولين في إحدى جلساتنا أنه عندما يرفض الطفل الذهاب إلى المدرسة علينا أن ننتبه أنه من الممكن أن يكون يتعرض لشيء ما لا قدر الله .

ـ نعم يا أمي معك حق ، ولكن أنا علمت كهرمان أن تخبرني بكل شئ يحدث معها، و إن قام أحدهم بالاعتداء عليها فورا تخبر شخص أكبر منها، أو تطلب من أحد الاتصال بي.

ـ لا تقلقي يا عزيزتي لن يحدث هذا ان شاء الله

*****

سرحوا جميعا في كلمات أغاني أم كلثوم الساحرة

"صحوا في عيني حنينهم لابتسامك .... صحوا سمعي يود كلمة من كلامك .... صحوا حتى الغيرة صحولي ظنوني "

سرحت ليلى في عالمها الخاص مع فنجان قهوتها الخالي من السكر.

تذكرت حور عشيقها السري وابتسمت على استحياء.

مدام فيروز كانت تفكر لو كان بإمكانها البدء من جديد مع رجل آخر، أما عن فيدان فكانت ناقمة على زوجها، وتريد التخلص منه بشتى الطرق

وعند مقطع " واسهر اسمع نبض قلبي بيناديلي ... روحي فيك مهما جرى ... أنا روحي فيك.

تسوى إيه الدنيا وانت مش معايا .. هي تبقى الدنيا دنيا إلا بيك "

تذكرت (أسمهان) صديقها المقرب

أسمهان ثم قاطعتهم .

ـ يجب أن أذهب لتحضير أغراضي للسفر غدا .

ليلى:

ـ نعم وأنا أيضا علي اللحاق بمالك قبل أن يذهب إلى النوم لكي يخبرني بما حدث بينه وبين ابنتي.

هموا جميعا بالنهوض و انتهت جلسة اليوم

*****

ـ أخبرني يا مالك ، هل أخبرتك بشيء ؟

ـ لم تخبرني بشيء يا ليلى ، حاولت معها كثيرًا ولكن بلا جدوى ، أخبرتني أنها لا تريد أن تتحدث في الوقت الحالي .

ـ معنى ذلك أنه يوجد شيء يحدث معها ؟

ـ من الواضح نعم ..

ـ وما العمل إذا ؟

ـ لا أعلم ولكن يمكننا أن نتابع رسوماتها و تصرفاتها لكي نفهم ماذا هناك.

ـ نعم أنت على حق .

*****

في صباح اليوم التالي ذهبتُ مع كهرمان إلى المدرسة لمعرفة ماذا يحدث لصغيرتي .

تحدثت إلى المشرفة الاجتماعية ...

ـ صباح الخير مدام ليلى ، مفاجأة سارة

ـ صباح النور مس نعمة ، تحياتي

في الحقيقة أنا لا أريد أخذ الكثير من وقتك ، دعيني أخبرك ماذا هناك .

ـ خير أقلقتني ..

ـ أعتقد أن كهرمان تتعرض لشيء ما في المدرسة، ولكنها لا تريد الإفصاح به .

ـ شيء ! شيء مثل ماذا ؟

ـ لا أعلم ، تبكي كثيرا في الصباح، لا تريد الذهاب إلى لمدرسة

ـ مدام ليلى يجب أن تعلمي أن هذا الشيء يحدث للكثير من الأطفال ، فالطفل في هذه المرحلة يكون كثير التعلق بأمه.

ـ لا أعتقد ذلك ! ابنتي كانت تحب المدرسة كثيرا، ولكن أصبحت في الأونة الأخيرة لا ترغب في الذهاب إليها .

ـ في الحقيقة أنا لا أعلم ماذا هناك، ولكن سأبذل ما بوسعي لمعرفة الأمر، وسأخبرك بأي جديد إذا حدث .

ـ شكرا جدا لك ..

*****

في المساء تجمعت نساء العمارة، ولكن كانت أسمهان قد سافرت إلى القاهرة ، كانت حور أحيانا ما تتغيب عن تلك الجلسات المشوقة ...

جلسوا جميعا في روف البناية الذي أعددنه بحرص منذ سنوات ، كانت الجدران مبهجة جدا بألوانها المختلفة ، كل شيء في الروف يعطي نكهة خاصة لكل سيدة من السيدات ، هذا الروف مصنوع من الحب، ومن الأغنيات وكثير من الاحتواء والتقدير.

مدام فيروز:

ـ أفضل شيء أنك ذهبتِ إلى المدرسة ، يجب أن يكونوا أكثر حرصا على الأطفال.

ليلى :

ـ لا أستطيع أن أرى ابنتي هكذا ، أشعر و كأن قلبي خارج جسدي

مدام فيروز:

ـ نحن هنا من أجلك ، لا تقلقي كل شئ سيكون بخير

ليلى:

ـ لا أعلم ماذا أقول لك ، دامك الله نعمة في حياتي

فيدان أين أنتِ ، شاركينا الحديث .

مدام فيروز:

ـ وما الجديد يا ليلى ، فهي دائمة الشرود

فيدان:

ـ لا يوجد شيء، أنا فقط أستمع لكم .

ليلى:

ـ أخبريني ماذا يحدث معك ، نحن أهلك .

فيدان:

ـ وأكثر من الأهل ، لا يوجد ما يدعي للقلق ، أنا أريد فقط أن أستمع إلى بعض الموسيقي و أن نحظى بهدوء تام .

مدام فيروز

ـ و أنا أيضا ...

ليلى

ـ دعوني أختار لكم ، رغم أنه لا يوجد سوانا، ولكن علينا أن نستمتع بتفاصيل الأغنيات مثلما علمتنا أسمهان .

ومع النسمات الليلية ذات الروائح الممزوجة برائحة القهوة التي تعدها مدام فيروز بعناية ، جالسة مدام فيروز على الكرسي ذات اللون الجنزاري، يفصل بينها وبين الفتاتان طاولة خشبية صغيرة عليها معدات تحضير قهوتهم، بينما الفتاتان جالستان على الأريكة الملونة بألوانها المتداخلة الدافئة، وكالعادة سرحت كلا منهن في كلمات الأغنيه وكانتا في هذه الليلة يستمعن إلى "صباح فخري"

كانتا نساء العمارة مولعات بالأغاني والفن

كانت تقول أسمهان: " لا يوجد أشرار حيث يوجد الفن والموسيقى "

قاطعت ليلى شرودهم وقالت:

ـ لحظه ! أتصل ب (أسمهان) لتستمع إلى الأغنية معنا

وعلى الجهة الأخرى كانت "أسمهان" جالسة مع صديقها المقرب"مسلم" في أحد قهاوي وسط البلد ..

وجميعهن في صوت واحد " اشتقنا لك كثيرا ، متى ستعودين؟ "

ـ تركتكن منذ الصباح فقط، ولكن اشتقت لكن كثيرا ، سأعود يوم الأربعاء

ليلى:

ـ اتصلت بك لكي تستمعين بهذه الأغنية، أنا متأكده أنها ستنال إعجابك

أسمهان : نعم أنا في حاجة إلى أغنية جديدة لأنني سئمت من التكرار ، لحظة واحدة أقوم بتشغيل مكبر الصوت ليستمع " مسلم " معنا .

انتبهن جميعا إلى كلمات الأغنيه وذهب، جمعيا مع كلمات الأغنية و كأن الكلمات والموسيقى قادرين على حملهن بعيدا بين الصفاء والنقاء الداخلي ، قادرة على إيصال الأنفاس المنعشة في الداخل .

" هيمتني تيمتني عن سواها اشغلتني أخت شمس ذات أنس دون كاس أسكرتني "

بعد انتهاء الأغنية ..

ليلى:

ـ أعلم جيدا أنك تحبين هذا النوع من الأغاني

أسمهان:

ـ أحسد حالي لأن هناك من يتذكرني في كل وقت ، ذوقك أعجبني كثيرا ، سأنتظر يوم الأربعاء بفارغ الصبر ، أحبكن جدا .

أغلقت أسمهان الخط فوجدت مسلم غارق في وجهها ، قالت باستغراب .

ـ ما بك !

ـ قلبي يرقص فرحا ، لحب الناس لك .

قالت مداعبة إياه

ـ منذ متى هذه الحنية! .

ـ طيلة الوقت ولكن لم تنتهبي في كثير من الأحيان.

كان مسلم بالنسبة لأسمهان ليس مجرد صديق، ولكن كانت تخشى خسارته، وهو أيضا كان يخشى خسارتها ....

*****

دخلت ليلى على كهرمان لتطمئن عليها لتجدها تبكي على فراشها ...

قالت في فزع:

ـ ما بك يا كهرمان ؟

بصوت باكي:

ـ لا يوجد شئ يا أمي .

ـ أرجوكي أخبريني ماذا هناك ؟

ـ لا يوجد شيء صدقيني ..

ـ أخبريني ماذا هناك لنقوم بحل المشكلة سويا ، لماذا لا تريدين إخباري ، أنتِ تعلمين جيدا كم أنا أحبك ولا أستطيع أن أراك هكذا .

ـ أنا لست حزينة .

جلست ليلى أمام كهرمان ونظرت في عين ابنتها نظرة ممزوجة بالحب والحزن معا، ثم قالت :

ـ لن أقوم بالضغط عليك، ولكن أريد أن أخبرك بشيء في غاية الأهمية ، أنا أحبك جدا ولا أستطيع أن أراك هكذا، لذلك أريد أن نقطع وعدًا سويا .

ـ ماذا هو ؟

ـ في أي وقت تشعرين أنكِ تريدين أن تتحدثي معي أرجوكي لا تتردي

نهضت كهرمان واحتضنت أمها ، أكملت ليلى ..

ـ في انتظارك أن تبوحي بما يجول داخل قلبك الصغير ، هل لي أن أنام بين أحضانك الليلة ؟

ـ طبعا ، أنا أحبك جدا يا أمي

ـ وأنا أيضا يا ابنتي أحبك جدا .

*****

لم تنم ليلى في تلك الليلة ، عقلها مشغول وقلبها يكاد يصرخ ، ما بكي يا ابنتي ؟

في صباح اليوم التالي ودعت ليلى طفلتها واحتضنتها بشدة، و أخبرتها عن مدى الحب الذي تحمله بين صدرها لها ، بعد رحيلها بدأت تبحث بين أغراضها لتجد تلك الرسومات التي خبأتها كهرمان بعناية تامة ....

*****

ـ ماذا تقصد يا مالك بتلك الرسومات ؟

ـ لا أعلم ! من الغريب أنها قامت بتشويه وجه الفتاة

ـ لم يعد عقلي يستطيع فك هذا اللغز، سأتصل بأحد المختصون في المجال النفسي للطفل ليخبرني ماذا هناك .. نعم معاك حق .

اتصلت ليلى بسرعة بأحد أصدقائها المختصون في هذه الأمور وأرسلت له الرسومات، وأكد لها أن طفلتها بشكل كبير لم تعد تثق بذاتها، ونصحها ألا تصارحها بأنها نبشت بين أغراضها لعدم هدم الثقة بينهن، بل تحاول أن تقول لها الكلمات الإيجابيه عن شكلها و ذكائها هي و أبيها والأصدقاء المحيطين بها إلى أن تفصح هي عما بداخلها.

وأن تراقب سلوكها وسلوك المحيطين بها .

*****

هل احتضنت ابنتك اليوم ؟

سألت ليلى مالك ، كانت ليلى حريصة على أن تكون مشاعر طفلتها مكتملة قدر الإمكان .

بدأت ليلى في جلب بعض الصور لأطفال في مثل عمرها بنفس تجاعيد شعرها، كانوا غاية في الجمال، وتقول لها في كل مرة تراها فيها: كم هي جميلة وتستحق الحب والاحترام ، حتى نساء العمارة عندما علمن بالأمر لم يتركن كهرمان تعاني، بل كن إلى جانبها دوما لتعزيزثقتها في نفسها ..

وفي نهاية الأسبوع اجتمعن كالعادة جميع نساء العمارة، وكل من كان متغيب عن الجلسات لن يفوت فرصة نهاية الأسبوع لكي يتبادلن كل ما حدث في فترة غيابهن ، عادت فاتن من عند أقارب زوجها ، أسمهان عادت من السفر، وجدت رجل غريب خارج من منزل حور في توجس شديد ، لم تشغل أسمهان بالها ولم تعطي للأمر حجم، يوم الخميس بالنسبة لهن هو

أكثر الأيام المبهجة، بالنسبة لهن يكون روف البناية عبارة عن ساحة للرقص الشرقي ، كانت فريدة تجيد الرقص وكانت تحبه جدا لذا كانت تقوم بإخراج مواهبها المقموعة قصرا وسط نساء عمارتها المتميزات ، أما عن حور كانت خبيرة تجميل لنساء العمارة، فهو اليوم المقدس بالنسبة لها للعناية ببشرتهم ، جالسة مدام فيروز تنظر إلى كهرمان وفريدة في كل حب وحنان إلى نساء عمارتها الصغيرات وتعد لهن عصير البرتقال الطازج ، أما عن فاتن وليلى و فيدان وأسمهان كانت حور تقوم باختبار وصفاتها الطبيعية عليهن ..

ظل الرووف في حالة من الغناء والرقص واختبارات الوصفات الطبيعية، لتأتي أولى أضواء السماء لتدق أجراس الصباح وبدء يوم جديد ..

*****

بصوت متلهف مليئ بالدفء

ـ صباح الخيرأخي العزيز ، لا تعلم كم أشتاق إليك ، متى ستأتي إلى الاسكندرية ؟

ـ وأن أيضا اشتقت لكِ كثيرا ، سآتي عن قريب جدا ، لا تعلمين كم المسؤولية التي أحملها ولكن سأحاول القدوم ، كيف حالك ؟

ـ أنا بخير يا جبريل ، أبي و أمي كيف حالهما ؟

ـ كل الأمور على ما يرام، لا ينقصنا غير رؤيتك .

ـ سأبذل ما بوسعي للقدوم لأطمئن عليكم

ـ أخبريني كيف حال المشاكسة الصغيرة ، وكيف حال زوجك ؟

بدأت ليلى تسرد له ما حدث بكل التفاصيل .

ـ أنا أعلم جيدا أنكِ تستطيعين التقرب أكثر إلى كهرمان ، لا تفقدي الأمل .

ـ أشعر بالقلق الشديد عليها .

ـ لا تقلقي يا عزيزتي، لن يصير إلا الخير .

أغلقت ليلى الخط لتستعد لأخذ كهرمان من المدرءه لتتحدث معها قليلا بعيدا عن أجواء المنزل ..

ـ يا إلهي ! كم أنتِ جميلة اليوم .

ـ شكرا لك يا أمي ، أنتِ أيضا في غاية الجمال اليوم .

ـ بما أننا في غاية الجمال اليوم والأجواء لطيفة ونشرب الكاكاو اللذيذ، فلما لا تخبريني ما يعكر عليك صفوك الداخلي ؟

ـ دعيني أخبرك يا أمي أنه هناك فتاة في المدرسة تقوم بمضايقتي وتسخر كثيرا من خصلات شعري المجعدة .

ـ زميلتك في الفصل !

ـ نعم ، وتجعل باقي زملائي يسخرون مني .

ـ كيف تتصرفين عندما تقوم بهذه التصرفات ؟

ـ أذهب بعيدا و أبكي كثيرا .

احتضنت ليلى طفلتها بشدة، ثم نظرت لها .

ـ أنتِ تعلمين جيدا أن أمك لا تكذب عليك ؟

ـ نعم أعلم جيدا .

ـ رائع ، دعيني أخبرك أنك رائعة وجميلة جدا ، لا أريد منك سوا أن تعلمي ذلك جيدا، وأن شخصيتك الرائعة و روحك المبهجة تزيد جمالك كل يوم ، فقط ابتسمي ليصبح العالم أجمع بخير ، هل تعلمي كيف تتصرفين عندما تقوم بالسخرية منك ؟

ـ لا

ـ عندما تقوم بالسخرية منك أخبريها كم هي جميلة ، مع مرور الوقت لن تكرر هذه التصرفات مرة أخرى ، وأنا لن أتركك أبدا، سأذهب معك للمدرسة ونكتشف سويا لما تقوم تلك الفتاة بهذا التصرف .

ـ شكرا لك يا أمي .

ـ عليك أولاً قطع وعد مع أمك أن تخبريها بكل شيء مهما كان وفي أي وقت .

ـ وعد

كانت ليلى حريصة أن تكون كهرمان شخصية تجيد التصرف في الأمور الصعبة، وكانت لا تتدخل إلا للضرورة ....

****

الفصل الثاني

"الفراش الجليدي "

في مجتمعاتنا تتربى الأنثى على أنها ماهي إلا وعاء جنسي للرجل وكأنها عروس لا تملك مشاعر ولا تملك شهوة تجاه الجنس الآخر ، وحتى إذا أفصحت عما يجول في خيالها لشريك حياتها فسوف ينعتها بقليلة الحياء، و يشكك في شرفها ، وكأن الرجل فقط هو من يملك الحق في ممارسة الجنس، والمرأة ماهي إلا وسيلة لإفراغ شهوات الرجل ، ارتدي الحجاب حتى لا يتم الاعتداء على جسدك ، تكلمي بصوت منخفض لأن صوتك عورة ، مكانك والمتعارف عليه هو المطبخ

إذا خانك لا يهم، المهم أنه يعود بين أحضانك في آخر الليل ، يضربك وما المشكلة "ضرب الحبيب زي أكل الزبيب "

رجل أقام علاقة جنسية خارج إطار الزواج لا يهم، إنه رجل

امرأة تفعل نفس الشيء، لقد جلبت العار إلى القبيلة

وكأن الرجل سيقف أمام الله ويقول له أنا رجل، أنت لا تسطيع محاسبتي، أما هي فامرأة اجلدوها .

هذا هو وهم العادات .

*****

تزوجت فيدان وهي في الخامسة والعشرون ربيعا ، كانت من أسرة مكونة من ثلاثة ذكور، وكانت هي الأنثى الوحيدة بينهم، انتقلت فيدان من كفر الشيخ إلى الاسكندرية، عندما تزوجت تربت في بيئة تقدس الرجل ،فعلى المرأة أن تلبي كل ما يطلب منها، سواء كان زوجها أو أبيها أو أخوها .

لم تكن فيدان مثل جميع الصبايا ، لم أتذكر أنها أحبت شاب في سن المراهقة ، لم تعش مغامرات الطفولة ولا جنون الشباب ، لم تكن تميل إلى الجنس بطريقة أو بأخرى ، كانت تعتقد دوما أن هذا من سمات المرأة الصالحة ، لم يعرف قلبها للحب طريق، حتي بعدما تزوجت لم تشعر في يوم أنها ترغب زوجها.

كانت دائما تقول: أمارس الجنس مع زوجي لأرضي رغباته وحاجاته، ولأنني بصراحة لا أريده أن يشعر بالتقصير فيخونني مع أخرى .

*****

أبكي كل ليلة على فراشي، لا أحد يشعر، لا أحد يعلم كم قاسيت، وكم حاولت أن أكون زوجة صالحة .

في كل مرة يضاجعني فاروق كانت تنتهي بالضرب، أو نعتي بمتبلدة المشاعر .

لم أكن أريد الزواج من الأساس، فأنا لم أشعر طيلة حياتي أنني أريد أن أكون بين أحضان رجل.. من أنا، و ماذا أفعل هنا ؟

كانت كل طموحاتي أن أعمل، و أن أعيش حياة هادئة بعيدة عن كل تلك الصراعات.

ولكن كيف ؟

كيف لي أن أكون عكس القطيع، لا أهوى الزواج ولا أشعر بالاحتياج الجنسي .

في بداية الأمر كنت أعتقد أن هذا بسبب البيئة المنغلقة التي نشأت بها .

ولكن بعد زواجي بدأت أكتشف شيئا ف شيء أن تلك الحياة لن تروق لي أبدا .

فكرت مرارا في الهروب .

ولكن إلى أين ؟

*****

الخميس الساعة التاسعة مساءًا .....

كالعادة نحتسي القليل من القهوة، ونستمع إلى بعضنا البعض ، هذه التجمعات هي من جعلتني أشعر أنني على قيد الحياة .

كنت أهرب من قبح العالم بهذه الأمسيات الهادئة، المليئة بالأحداث المشوقة، كنت أهرب من أحضان زوجي الجحيمية إلى أحضان جيراني الأعزاء، كانت هذه الساعات القليلة في اليوم هي من تجعلني أستطيع مواصلة حياتي دون أن أصاب بمرض عقلي مزمن ..

*****

قطعت أسمهان الصمت وسألت بتوجس ...

ـ سمعت صوت فاروق في الصباح وكان يبدو عليه أنه يشتاط غضبا، هل يوجد شيء؟

فيدان :

ـ وما الجديد يا أسمهان، فهو كثير العصبية، لما الاستغراب اذا ؟

أسمهان:

ـ إن أردتِ أن تتحدثين عن الموضوع فنحن هنا من أجلك .

فيدان:

ـ لا لا، أرجوكي ، هكذا أفضل .

ليلى :

ـ إذا أردتِ أن أخبر مالك بالأمر ليتحدث معه أخبريني، ولم نخبره أنه قد علمنا منك، بل سمعنا صوته في الصباح .

فيدان:

ـ لا ، لا أريد المزيد من المشاكل ، سيظل هكذا طوال العمر .

فاتن :

ـ من رأيي أن (الطريق لقلب الراجل معدته) ، جهزي له طاولة طعام شهية مع أجواء رومانسية، وهو سيصبح شخص آخر .

تدخلت فورا مدام فيروز ...

ـ ما هذا الهراء ، اتخذيني أكبر مثال بالنسبة لكن ، كنت أعد مائدة كبيرة كل يوم و لم أستطع أن أكسب قلبه أبدا ، اعلمي يا ابنتي جيدا أنه ليس هناك طريقة محددة لقلب أحد، من يحبك حقا سيخلق كل الطرق ليجعلك سعيدة ، أما إذا كان العكس ستصبح حياتك جحيم مهما فعلت، سيتعالى عليكي بالضرب والإهانة، وسيتهمك دائما بالتقصير في كل شيء، فلا تتأملي .

حور :

ـ أنا أرى أن العلاقات شيء غاية في الغرابة ، من تحبه لا يحب،ك ومن يحبك لا تحبه وكأننا في دائرة مغلقة من استنزاف المشاعر .

ردت فيدان :

ـ دعونا نترك الحزن جانبا ، يمكننا أن ننسى كل ما حدث بقليل من الموسيقى

أسمهان بحماس شديد ...

دوري في اختيار الأغاني ...

هذه الأغنيه يهديها لي "مسلم "

أنغام الليلة كانت ل (جورج وسوف)

"حلف القمر يمين وقالك يا حلوة ساعة ما شافك

في الحسن لا بعدك ولا قبلك يا روحي

يا روحي كملت أوصافك "

قاطعتهم مدام فيروز:

ـ صوته وهو صغير أفضل بكثير من الوقت الحالي ، وكلمات الأغنية أيضا جميلة جدا،

ثم أكملت بخبث:

هنيئا لك صديق مثل مسلم ..

ضحكت أسمهان على استحياء ثم قالت:

ـ آه منك يا عجوز العمارة أنتِ كم أحبك، ثم ارتمت بين أحضانها الدافئة، فقبلت مدام فيروز رأسها.

ظللن إلى منتصف الليل يتنقلن من حديث إلى آخر، ومن أغنية إلى أخرى،حتى أوشك الفجر أن يطلع، ذهبت واحدة وراء الأخرى، حتى انتهت أمسياتهن لاستئنافها في صباح اليوم الجديد ..

*****

لم تكن تعلم فيدان ما ينتظرها !

كان يجلس فاروق على الأريكة المقابلة لباب المنزل، لا يوجد غير إشعاع بسيط من النور آتٍ من الأبجورة المجاورة له ، ينتظرها في غضب شديد، جالس منتظر قدومها في ترقب كصياد ينتظر فريسته للوقوع و النيل منها.

فتحت فيدان باب المنزل أو أبواب الجحيم، تتناثر من عينه نظرات كالنار

اخترقت نظراته قلبها وقالت في توجس شديد:

ـ لماذا تنظر إلي هكذا ؟

فقال ساخرا منها ..

ـ من الواضح أن الهانم نست تماما أنها متزوجة.

ـ أنت تعلم جيدا أننا نتجمع في نهاية الأسبوع ونسهر حتى طلوع الفجر ، ما الجديد أنا لا أفهم؟ .

ـ قومي بواجباتك الشرعية تجاه زوجك وبعد ذلك افعلي ما شئتي

قالت في غضب شديد:

ـ أتتهمني أنني لا أعطيك حقوقك الشرعية ؟

ـ نعم أتهمك، وأتهمك أيضا بالبرود في المشاعر والجسد، كأنني أضاجع عروسة مصنوعة من البلاستيك.. ثم أكمل ساخرا:

مع احترامي التام للعروس البلاستيك ..رمقته بنظرة استحقار، ثم بصقت عليه ولفت ظهرها له معلنة أجراس الحرب ضده ، لم تخطو خطوة واحده للأمام لأنه فورا هجم عليها ولف خصلات شعرها شديدة السواد، وانهال عليها بالضرب، ظلت تتوسل إليه أن يتركها، تقاوم تارة وتركله تارة، وأحيانا أخرى تبكي متمتمة ببعض عبارات التوعد الشديد له.. حتى جاءت أخيرا أجراس النجاة معلنة تخليص الضحية من مفترسها ، دقات جنونية على الباب شتت تركيز وحشها وجعلته يقول في عصبية مبتعدا عن ضحيته:

ـ ماذا هناك ؟!

نهضت فيدان مسرعة لفتح الباب، وجدت كلا من مالك وليلى وصالح وفاتن وأسمهان ، ارتمت بين أحضانهم، فهم لها الملجأ الوحيد في هذه الدنيا.

قال مالك بانفعال شديد:

ـ أنت مجنون ؟

قال فاروق مستعرضا عضلاته:

ـ زوجتي ، أعلمها الأدب ، ماذا تريد ؟

انقض عليه صالح بلكمة قويه في وجهه و قال:

ـ أنت لا تعرف عن الرجولة شيء أبدا ..

مسك به مالك وقال:

ـ لا توسخ يدك من هذا الندل، دعه وشأنه

بينما كانت فيدان تصرخ وجعا بين أحضانهم ، أخذتها ليلى إلى منزل أسمهان ومعهم فاتن يحاولون تهدئتها وفهم السبب في كل هذه الثورة المقامة عليها .

*****

كانت رافضة أن تتكلم في أي شيء، فقط تريد أن تبكي لتنفض عن صدرها غبار الألم و الحزن والحسرة ، حتى غلبها النعاس ونامت كطفل ناجي من الحرب.

بقيت هذه الليلة في منزل أسمهان بأثاثه الشبابي ذو الطابع المريح ، ذهبت كلا من ليلى و فاتن إلى منزلهن وقالوا لأسمهان: إذا حدث شيء أخبرينا.

في حدود الساعة السادسة مساءًا اتصلت فاتن على كلا من حور ومدام فيروز لتخبرهم بما حدث لفيدان، وتجمعوا هذه الليلة في منزل أسمهان.

كانت تعاستها وانكسارتها واضحة على وجهها الملائكي ، حتى جروح قلبها تركت أثر على وجهها الذي كان مليء بالكدمات و الخدوش، حل الصمت عليهم جميعا كأن روح فيدان قد ماتت بالفعل وهذا عزائها، إلى أن كسرت فيدان الصمت وقالت:

ـ أريد أن أذهب إلى أمي ، سأجهز أغراضي و أسافر لها اليوم.

فاتن:

ـ لما العجلة يا ابنتي، انتظري حتى الصباح

فيدان:

ـ هناك وقت، مازلت الساعة السابعة

ليلى:

ـ لا أريدك أن تذهبين و أنتِ في هذه الحالة.

فيدان:

ـ لا تقلقي سأكون على ما يرام

مدام فيروز:

ـ دعوها وشأنها ، افعلي ما تريدين يا ابنتي

حور:

ـ نحن هنا من أجلك ، كوني بخير لأجلنا ، وإذا أردتِ أن أقوم برفع دعوة قضائية عليه سأفعل هذا من أجلك.

فيدان:

ـ شكرا لكم جميعا ، أنا الآن لا أتستطيع أخذ أي خطوة، فقد أريد بعض الراحة، وتركتهم ، جهزت حقيبة صغيرة من ملابسها ، ارتدت ملابس سوداء ليلائم مراسم العزاء وحملت حالها تبكي في الطرقات إلى أن وصلت إلى موقف السيارات وركبت سيارة ذاهبه إلى كفر الشيخ .

وصلت إلى منزل نشأتها بعد منتصف الليل ، دقت الباب بطرقات خفيفة تدل على تعبها الشديد، وبمجرد أن فتحت أمها الباب ارتمت بين أحضانها تبكي، إلى أن فقدت الوعي ، صرخت أمها بخوف شديد:

ـ فيدان ، لماذا بكي يا ابنتي؟

حاولت معها كثيرا، إلى أن فتحت فيدان عينيها وأخذت تنظر في عيون أمها المليئة بالبكاء، وبكت هي الأخرى، ثم احتضنتها بشدة، نقلتها أمها إلى غرفتها التي شهدت على كل أيام فيدان الهادئة، ارتمت في أحضان سريرها، غمرته وكأنه شخصها المفضل الذي لم تراه منذ فترة طويلة من الزمن ، تركتها أمها لتستريح، ولم تسألها عن أي شيء ، ذهبت فيدان في نوم عميق جدا كأنها لم تذق طعم الراحة منذ دهرًا .

*****

في صباح اليوم التالي تجمعوا منذ الصباح في روف البناية ليتحدثوا في أمر فيدان ، كان يبدو عليهم الحزن الشديد، يريدون مساعدتها جدا ولكن ما باليد حيلة.

قالت مدام فيروز بنبرة مليئة بالحزن وهي تسترجع شريط المعاناة التي استطاعت التخلص منه بعد أن أخذ جزء كبير من روحها:

ـ هل اتصل أحد بفيدان ؟

ليلى:

ـ نعم يا أمي ولكنها لم تجب على الهاتف

حور:

ـ اتركوها وشأنها الآن أنا أعلم جيدا ما تشعر به ، من الأفضل أن تكون بمفردها

أسمهان:

ـ نطمئن فقط أنها وصلت ثم نتركها.

ردت فاتن:

ـ لا أعلم ما الصواب في تلك الأمور، ولكن أتمنى لها كل خير

ليلى:

ـ نحن هنا من أجلها، لن يحدث إلا الخير إن شاء الله.

*****

كانت الأجواء حزينة جدا، فهم ليسوا مجرد جيران، بل كانوا مثل الأهل، بل وأكثر .

تذكرت مدام فيروز قصتها القديمة .

ليلى أحست بألمٍ شديد في قلبها من شدة حزنها.

أسمهان ظلت طوال اليوم تتحدث مع مسلم على الهاتف، كان الوحيد الذي يستطيع أن يجعلها تشعر بالأمان .

حور كانت تفكر كيف تنتقم من هذا المجرم.

فاتن كان تشعر بالقلق الشديد عليها، فهي تعلم جيدا أن فيدان لم تعد تستطيع أن تعيش مع هذا الوحش مرة أخرى.

عم الصمت بينهم إلى أن دق هاتف ليلى، قالت في صوت ممزوج بالخوف والطمأنينة

ـ إنها فيدان.

ردت فورا عليها، لم تستغرق المكالمة سوى القليل من الثوان، أغلقت ليلى الخط ثم قالت:

ـ تقول إنها على ما يرام ، اتصلت فقط لتطمئن عليها.. مدام فيروز:

ـ حمدا لله

فاتن:

ـ كنت أشعر بالقلق ، خفت كثيرا من أن تقوم بإيذاء نفسها.

تفرقوا جميعا بعد أن اطمئنوا عليها وذهب كلا منهن إلى منزلها .

*****

في الصباح كانت" أسمهان " تستعد للسفر إلى القاهرة فقد اشتاقت ل مسلم كثيرا وليلى كانت ذاهبة مع كهرمان إلى المدرسة، أما عن فاتن فكانت تودع فريدة و فجر الذاهبين إلى المدرسة، وهي تستعد للذهاب إلى العمل، فيمكنها اليوم أن تتأخر قليلا عن العمل..

ودعتنا مدام فيروز وبدأت بتجهيز قهوتها الشهية والاستماع إلى فيروز لتعمل على تحضير الغداء لنساء عمارتها، فهي تريد أن يتناولون طعام الغداء معها اليوم .

في حدود الساعة الثانية عشرة ظهرا استيقظت حور من النوم وبدأت تستعد للذهاب إلى العمل رغم أنها كانت على عجلة من أمرها، فهي لا تستطيع أن تفوت فرصة الذهاب إلى مدام فيروز لأخذ حضن دافئ لتستطيع أن تواجه مصاعب الحياة بصدر رحب .

*****

الساعة الثانية عشرة ظهرا بمحافظه كفر الشيخ ...جالسه فيدان على سريرها تشعر براحة في جسدها لم تشعر بها منذ زواجها، تمنت لو أنها لم تتزوج ولكن" ليت الزمان يعود يوما ".

دخلت عليها أمها و احتضنتها .....

ـ عزيزة الريح اللي رمتك علينا؟ ،جئت لأطمئن عليك ، كيف حالك الآن ؟.

ـ لم أشعر بهذه الراحة منذ زواجي ، أنا لا أريد أن أعود إلى الجحيم مرة أخرى يا أمي .

ـ أي جحيم يا ابنتي؟ إنه زوجك .

ـ أي زواج هذا يا أمي ؟

نظرت لها بحنان وقالت:

ـ يحدث دوما بين الأزواج مشاجرات، هذه هي سنة الحياة " دوام الحال من المحال " يا ابنتي ، ستمر الأيام وسيرزقك الله بأطفال وستصير الأمور أفضل، لا تقلقي .

ـ يا أمي ألا تري الكدمات الموجودة على وجهي ؟

ـ ضرب الحبيب زي أكل الزبيب ، ما بك يا فيدان؟ ماذا تريدين ؟

ـ أريد أن أنفصل عنه ، أنا لا أستطيع العيش هكذا ، أرجوكي

ـ لا أريد سماع هذه الكلمات مرة أخرى ، حافظي على منزلك، أتريدين أن يغضب والدك ؟

ـ لماذا لا تستطيعين استيعابي يا أمي؟ إنه يضربني ويقوم باغتصابي في بعض الأحيان ، لم أستطيع الصمود أكثر صدقيني.

ـ اغتصاب ! اغتصاب ماذا يا ابنتي، هذا زوجك !

يبدو أنكِ

متعبة جدا ، استريحي الآن ونكمل حديثنا في وقتا آخر

****

تعلم فيدان جيدا أن أمها لم تتفق معها في قرار الانفصال ، كانت تريد فقط أن توصل لها نبذة عن كم المعاناة التي تعيشها، لم تفكر كثيرا فيما حدث بينها وبين أمها، فقد عادت للنوم مره أخرى .

*****

الاسكندرية.... الساعة الخامسة مساءًا ...

أجواء هادئة جدا على روف البناية، طاولة خشبية طويلة عليها أشهى الأصناف، تقف مدام فيروز مرتدية فستان أنيق جدا باللون الأبيض زين بورود أرجوانية اللون، ويلتف حول عنقها عقد من اللؤلؤ الأنيق ، أجواء تساعد على نسيان كل هموم الحياة وتشعرك أنك قادر على مواجهة أي شيء.

معروف عن ليلى التزامها بالمواعيد، فكانت أول الحاضرين، ركضت كهرمان نحو مدام فيروز وعانقتها بشدة، فطبعت على جبينها بوسة الجدة الحنون على أحفادها، ثم قالت كهرمان:

ـ يا إلهي تبدين رائعة جدا

فداعبتها مدام فيروز وقالت:

ـ حظيتي أنتِ بالنسخة الأجمل على الإطلاق

قالت ليلى:

ـ صدقتي يا كهرمان، ثم همست في أذن فيروز وقالت:

كأنك في موعد غرامي، أخبريني ماذا هناك ؟

ـ أبدا، صدقيني أنا فقط أريد أن أخفف من الأجواء المشحونة، أين مالك ؟

ـ لن يستطيع القدوم ، أنتِ تعلمين جيدا طبيعة عمله

ـ نعم يا ابنتي أعلم ، هيا اذهبي واتصلي بهم، تأخروا كثيرًا .

تجمعوا جميعا حتى صالح وفجر و(إسحاق) صديق مدام فيروز المقرب صاحب المقهى المجاور للمنزل ، كانت تريد مدام فيروز تقليل التوتر الذي حدث في البناية

الهواء نقي والسماء مرصعة بالنجوم، صوت ضحكاتهم يعلن عن حالة من الفرح والحب، تلعب فريدة مع كهرمان وفجر ، يحتسي كلا منهم مشروبه المفضل على الأنغام والأضواء الرائعة.

مدام فيروز:

ـ أريد منكم خدمه .

حور:

ـ كل طلباتك أوامر

انتبهوا جميعا لما ستقول ...

مدام فيروز:

ـ سنحاول أن نتحدث مع زوج فيدان

ليلى:

ـ أنا لا أوافقك الرأي

حور:

نعم ، وأنا أيضا

إسحاق:

ـ مهلا يا بنات ، انتظروا لنستمع إلى الآخر .

أكملت مدام فيروز:

ـ أعلم جيدا أنه شخصية صعب الحديث معها ، وأعلم أيضا أنه فج وسليط اللسان، ولكن نحن نفعل هذا ليس لأجله، بل لأجل فيدان

صالح:

ـ أتفهمك جدا ولكن أنا قمت بلكمه ، أعتقد أنه لن يقبل لقائنا

فاتن:

ـ اعتذر له ، أنا أتفق مع مدام فيروز، خراب البيوت ليس بسهل، دعونا نحاول، لن نخسر شيء.

أسمهان:

ـ ولكن على النساء أن لا تتدخل، من الأفضل أن يتحدث معه الرجال

إسحاق:

ـ لا يوجد عندي مانع .

صالح:

ـ وأنا أيضا

اتفقوا جميعا على كل شيء، وأكملوا ليلتهم في هدوء و دفء

ـ صباح الخير يا فيدان ، كيف حالك اليوم ؟

ـ صباح النور يا أسمهان ، أنا بخير ، وأنتِ ؟

ـ أنا بخير ، أريد فقط أن أطمئن عليك ، هل أنتِ بخير ؟

ـ نعم ، أفضل الحمد لله ، أنا فقط أريد أن أسترح

ـ سأتركك لتستريحي ولكن إذا حدث شيء أرجوكي أخبرينا

ـ إن شاء الله .

أغلقت أسمهان الخط ثم اتصلت على مدام فيروز لتخبرها ما حدث فقالت لها:

ـ هي لا تريد أن تتحدث ، لا يهم ، المهم أننا نطمئن عليها

ـ نعم ، أنتِ على حق ، سأذهب أنا الآن لتحضير حقيبتي للسفر .

ـ حسنا ، أتمنى لك سفرة ممتعة .

ذهبت ليلى إلى مدرسة كهرمان لتأخذها في نزهة بعد يومها الشاق في المدرسة

كانت تنتظر لها عبر زجاج الفصل في حب وحنان ..

ـ أهلا يا أمي ، سعيدة جدا لوجودك هنا

ـ جئت لأصطحبك في نزهة قصيرة ، ما رأيك ؟

كهرمان في فرحة عارمة:

ـ بالطبع نعم

أمسكت ليلى بيد ابنتها وكانت متجهة إلى سيارتها ، بينما تركب السيارة وجدت

أم في حالة ثورة على طفلتها الصغيرة، تضربها على رأسها الصغير وتوصفها بالغبية وإنها عديمة الفائدة ، نظرت كهرمان إلى ليلى وقالت:

ـ هذه هي الفتاة التي تضايقني يا أمي .

ـ حسنا يا ابنتي ، انتظريني هنا ثوانٍ سأعود لك فورا

نزلت ليلى من السيارة واتجهت نحو الأم وقالت لها:

ـ مساء الخير ، هل يمكنني أن أتحدث معك لثوان ؟

بصوت منفعل

ـ ماذا تريدين ؟

ـ آسفة جدا على تدخلي، ولكن هذه الطريقة خاطئة في التعامل مع أطفالنا

ـ هل جننتي؟؟ تريدين أن تعلميني كيف أتعامل مع ابنتي ؟

ـ أنا فقط أقدم لك النصيحة .

ـ شكرا لك ، وفري هذه النصائح لك .

ـ من الواضح أنك منفعلة كثيرا ، أريد منك فقط أن تهدأي لأن أسلوبك هذا لن يجدي نفعا.

ثم أخرجت من حقيبتها الكارت الخاص بعيادتها وأكملت:

إذا أردتِ أن تتحدثين في أي وقت أنا هنا في الخدمة، ثم تركتها وذهبت، حينها أدركت ليلى أن الفتاة التي تتعرض لابنتها بالتنمر هي أيضا تعيش مأساة، وهذا هو أسلوب التفريغ الذي تستخدمه ...

حاولت كثيرا ألا تتأثر بالموقف، ولكن أحست أنها تريد أن تجلس مع مالك فهاتفته وأخبرته أنها تريد تناول قهوتها معه بعيدا عن المنزل ...

****

خرجت فيدان أخيرا من غرفتها لتجلس مع عائلتها قليلا ،جالسة على كرسيها المفضل في وضعية الجنين، شاردة بين الأفق ، لا تريد التحدث في شيء ولكن تلبي رغبات أمها المستميتة للخروج

ـ هل ستظلين هكذا يا ابنتي ؟

ـ أنا على ما يرام يا أمي ، أريد فقط الراحة .

ـ أنتِ لا تستيقظين من نومك ، حتى أنك لم تري والدك منذ أن جئتي ، يسأل عنك دائما ويجدك نائمة

ـ سأنتظر قدومه اليوم يا أمي

ـ أريد أن أفكر معك بصوتٍ عالٍ .

ـ تفضلي يا أمي .

ـ ما رأيك أن نذهب إلى الطبيب ؟

ـ لماذا ؟

ـ استشارة أهل العلم واجب يا ابنتي .

ـ وهل أنا مريضة لأنني لا أحب رجل يضربني ؟

ـ لا ، ولكن هل من الطبيعي أنك لا ترغبين زوجك ؟

ـ نعم يا أمي، من الطبيعي ، أنا لا أريده ولا أريد غيره

ـ أنا خائفة عليكِ يا ابنتي " ضل راجل ولا ضل حيطة " وكما تري كلا من إخوتك مشغول بحياته وأسرته

ـ نعم يا أمي معك حق ، حتى أنتم مشغلون عني

ـ أنا لا أقصد يا ابنتي ، أنا أريد الاطمئنان عليك

ـ الاطمئنان في أحضان وحش كفاروق ؟ تمزحين معي .

ـ لا يا ابنتي، كل الازواج يحدث بينهم مشاجرات كبيرة، اسمعيني يا ابنتي، دعينا نذهب للطبيبة .

ـ حسنا يا أمي .

لم تقتنع فيدان بما تقول أمها ولكن كانت تريد الحصول على المزيد من الراحة .

*****

ـ ما رأيك يا كهرمان أن نؤجل نزهة اليوم، واذهبي للجلوس مع مدام فيروز ؟

ـ موافقة ، ولكن سنذهب في يوم آخر.

ـ بالطبع يا جميلتي .

اتصلت ليلى بمدام فيروز للتأكد أنها تستطيع استقبال ابنتها .

*****

الساعة الثالثة عصرا تستقبل مدام فيروز كهرمان من باب البناية، تلاعبها وتحتضنها بشدة، وتعرض عليها القليل من الحلوى..

كان مالك ينتظر ليلى في كافيه هادئ على البحر ، فهو يعلم جيدا أن البحر يذيل عنها التوتر ويجعلها في حالة أفضل، دخلت ليلى عليه بزيها الأنيق، وشعرها المنسدل وطرقات حذائها العالي تزيد من ضربات قلبه ، ارتمت بين أحضانه كأنها لم تراه منذ دهر ، جلست وطلب لها قهوتها وبدأت في الحديث عن الحوار الذي حدث بينها وبين أم تلك الفتاة، وعن رأي مدام فيروز في إصلاح الأمر بين فيدان وزوجها، وطلبت منه أن يذهب مع عم إسحاق وصالح، وهو بالطبع وافق على الفور، فهو لا يستطيع أن يتأخر عن معشوقته في شيء، طلب لهم طعام الغداء، ثم ذهبوا سويا إلى البيت .

*****

استغلوا عدم وجود كهرمان في المنزل وأعطوا فرصة لأجسادهم أن تلامس بعضها البعض، في كل مرة تستسلم له بسعادة وقبول، كأنها تتذوق شفاه للمرة الأولى، وكأنه يخضع أمام أنوثتها الناضجة ، فهو لا يستطيع مقاومتها، فهي في كل مرة تزدهر بين يده في طريقة تجعله أسير بين يديها ، تمشي أمامه عارية في دلال، فيشدها بين أحضانه ، تنظر في عينيه فتوقعه في شباكها أكثر ، لا يوجد شيء يستطيع إيقافه عنها، فهي أميرته، كلما اقترب أكثر كلما أصبحت أكثر أنوثة ودلال، لم يشعرا بالوقت أبدا، ونسيا كل شيء، حتى أنفسهم .

مستلقي على ظهره وهي بين أحضانه كما ولدتهم أمهاتهم، يداعب خصلات شعرها بيده ويقبل جبينها في حنان ، قالت بصوت عذب:

ـ تأخر الوقت ، علينا أن نعتذر من مدام فيروز .

ـ سأعتذر منها ولكن ابقي بين أحضاني قليلا ، لم أروي ظمأي بعد

ـ يا لك من طماع ، هيا بنا، سأتصل بها وأدعوها إلى بيتنا لتناول طعام العشاء

ـ حسنا يا أميرتي ، لا أستطيع أن أرفض لك طلبا .

اتصلت ليلى عليها و اعتذرت منها كثيرا، ولكن مدام فيروز كانت توبخها لأنها تعلم جيدا كم تحب كهرمان وتأنس بصحبتها .

حضرت سفرة بسيطة وتناولوا طعام العشاء، و أخبروا مالك ما يتعين عليه فعله مع فاروق وحددوا موعد ذهاب كلا من مالك وصالح وإسحاق إليه و انتهت سهرتهم وذهبت إلى منزلها، ربما دعوا كهرمان للنوم هذه الليلة بين أحضانهم .

*****

الساعة الثالثة عصرا يدق جرس الباب، فيأتي صوت من بعيد يقول :

ـ ثواني !

بعد خمس دقائق فتح فاروق الباب ووجد كلا من " صالح و مالك و إسحاق "

فقال لهم بحنق شديد:

ـ خير !

فبدأ عم إسحاق بالكلام وقال له:

ـ نريد التحدث معك في أمر ما ، ما رأيك تأتي معنا لنذهب إلى القهوة

فاروق:

ـ لا، أنا على عجلة من أمري ، تحدثوا هنا

صالحك

ـ أعتذر منك عما صدر مني ، كنت شديد العصبية

فاروق:

ـ لا يهم

تدخل مالك وقال:

ـ نحن أهل وجيران، بل وأكثر ، نريد فقط ن تصبح الأجواء هادئة

فاروق :

ـ هل يوجد شيء آخر ؟ فأنا كما قلت لكم أنا على عجلة من أمري

إسحاق

ـ مهلا يا بني ، نريد أن نصلح الأمر بينك وبين فيدان

قال فاروق بنبرة حادة:

ـ وما دخلكم فيما يخص علاقتي بزوجتي؟

تدخل مالك:

ـ كما قلت لك يا فاروق نحن أهل

فاروق:

ـ لا عليكم، أنا أعرف جيدا كيف أتصرف في حياتي، ولا أحب أحد أن يتدخل في أموري الخاصة .

أحسوا جميعا بالإحراج الشديد، فقال عم إسحاق بنبرة ندم:

ـ نعتذر عن تدخلنا ، هيا يا شباب

لم ينطق فاروق بحرف وأغلق الباب في صمت تام

صعدوا إلى روف البناية وهم يجرونأاحبال الخيبة والندم، اتصل مالك على ليلى ليطلب منها المجيء هي و مدام فيروز .

مدام فيروز:

ـ أخبرني أنه خير .

قال عم إسحاق في حزن شديد:

ـ لا، ليس خيرا، وأعتقد أنها كانت فكرة سيئة جدا، وأننا جلبنا لفيدان مشكلة أخرى.

قالت ليلى في توتر:

ـ ماذا حدث لكل هذا ؟

حكى مالك كل ما حدث بينهم، فهو كما قالت مدام فيروز شخصيته صعبة جدا ، أحس عم إسحاق أن كرامته مجروحة، وأنه لم يحافظ على مكانة سنه ، لم يقدر على لوم محبوبته وصديقته الجميله فيروز، فهو لا يستطيع أن يرفض لها طلب أبدا، استأذن صالح منهم للذهاب إلى العمل، جهزت ليلى القهوة وجلسوا يفكرون ما يتعين عليهم فعله ، هم لا يريدون مشكلة أخرى لصديقتهم، كل ما في الأمر أنهم يريدون مساعدتها على أن تعيش حياة أفضل مع هذا الوحش .

قالت مدام فيروز:

ـ أعتذر منكم كثيرا، أنا أشعر بندم شديد ، لم أكن أقصد أن تتعرضوا لهذا الموقف.

عم اسحاق:

ـ لا تعتذري ، قلبك الصافي هو ما دفعك لفعل هذا ، لا تحزني أبدا على تقديم الخير .

ليلى:

ـ لا تعتذري عن وقاحته

قام مالك وقبل رأسها وقال لها:

ـ أرجوكي لا تشعري بهذا الشعور ، كل شيء سيكون بخير لا عليك

ربطت فيروز على كتف مالك، وكأنها أم تربط على كتف ابنها البار بها

أستأذن مالك منهم ليذهب هو الآخر إلى عمله، فقال له إسحاق:

انتظرني، فأنا أيضا على عجلة من أمري ونظر إلى فيروز وقال لها بحنان:

ـ سأعود بعد انتهاء العمل ، كوني بخير

انتهت الجلسة بخيبة للجميع، وقلق على فيدان وعلى ما ستواجهه .

*****

في صباح اليوم التالي اتصلت ليلى لتطمئن على فيدان وتحكي لها ما حدث

ـ صباح الخير فيدان ، كيف حالك اليوم ؟

ـ في أفضل حال والحمد لله، طالما أنني بعيدة عنه، فأنا في تحسن دائم.

ـ أريد أن أحكي لك شيء حدث

ـ تفضلي يا عزيزتي

ـ ذهبنا للتحدث مع فاروق

قالت فيدان في فزع:

ـ لماذا يا ليلى ؟ أعرف جيدا ماذا حدث قبل أن تكملي حديثك

ـ كنا فقط نريد إصلاح الأمر

ـ أعلم أنكم تريدون مساعدتي، ولكن هذا الوغد لن يقدر هذا

ـ هل جلبنا لك مشكلة أخرى ؟

ـ هو دائم المشاكل، لاعليكي، سيتصل على والدي ويحكي له ما حدث، ولكن لا تقلقي، سأقوم بمعالجة الأمر ، لا تقلقي أنا هنا بخير .

كانت فيدان دائما تشعر بالأمان أكثر وهي في بيت أبيها

كانت جملتها الشهيرة " الوطن حيث يشعر المرء بالأمان "

*****

الفصل الثالث

" هروب حورية البحر "

في مجتمعاتنا العربية جسدك ليس ملكك، جسدك ملك لهم، حتى أنه لا يوجد حق للاعتراض.

كيف لهم أن يتدخلوا في أجسادنا إلى هذا الحد!!!

شرفك يقاس بما أرتدي ، بما أفعل ، شرفك تحدده جغرافيا جسد المرأة .

كم مرأة سفكت دمائها باسم الشرف على يد عديمي الشرف .

جسدي أمامه الكثير من التحديات وفرصة واحدة للنجاة، كم من قضايا الابتزاز التي تحدث في المجتمعات العربية ؟ من يقع اللوم عليه ؟الضحية أم المجرم؟

في طبيعة الحال وفي المجتمعات المتحضرة يكون على المجرم الذي يقوم بهذا العمل الشنيع، أما في المجتمع العربي يقع اللوم على الضحية، وتنتهي إما بالانتحار، أو فضيحة تلازمك طوال العمر.. هل يوجود قانون لهؤلاء المعتدين ؟

كم من عمليات الإجهاض التي تتم يوميا خوفا من مواجهة مجتمع لا يرحم .

في الحقيقه أنا أتعاطف مع هؤلاء النساء، فهم لا يوجد لديهن حل آخر..أو لما لا ؟

لما لا ينسب الطفل إلى أمه ؟

يقول مريد البرغوثي ل رضوى عاشور:

" كانت الولادة متعسرة، رأيت بعيني وجع الولادة، فشعرت أن من الظلم أن لا ينسب الأطفال إلى الأم.. لا أدري كيف اغتصب الرجل حق نسبة المولود لنفسه؟

ولم يكن شعوري رد فعل مؤقت على رؤية أم تتعذب في ساعات الوضع، ما زلت أؤمن إلى الآن أن كل مولود هو ابن " والدته " وهذا هو العدل ".

حور كانت من أكثر النساء المتمردات في هذه العمارة

بعيدا عن جمالها الساحر، إلا انها كانت تمتلك شخصية قوية وحب للحياة يجعلك تشعر أن كل العالم مسخر فقط لإسعادك .

لا تحب القيود ولا القواعد الثابتة ، دائمة التغير وتنزعج من الحياة الرتيبة المملة

كانت من أم يونانية ومن أب مصري، الابنة الوحيدة للأسرة، إذًا مرحبا بكامل الحب والاهتمام .

توفي والدها وهي في عمر صغير جدا، حتى أنها لا تتذكره ، عاشت مع أمها حتى فترة الجامعة هنا في الاسكندرية، إلى أن قررت أمها الرحيل إلى اليونان ، بعدها بقيت حور هنا لأجل زوجها السابق، لأنها كانت تحبه جدا، بل كانت تعشقه ولم تتخطى مرحلة الانفصال والخيانة والطلاق، أكاد أجزم أنه إلى يومنا هذا .

عاشت لحظات صعبة جدا، فقدت الثقه في نفسها وفي كل من حولها... انتقمت من جسدها الجميل عن طريق الدخول في العديد من العلاقات، إلى أن دخلت في علاقه حميمية مع شاب يصغرها بحوالي خمس سنوات، ليست هنا المشكلة، المشكلة فيما ستواجهه .

صباح يوم الاثنين الساعة الثالثة عصرا بمحافظه كفر الشيخ .....

ـ استيقظي يا فيدان ، هل ستنامين مثل أهل الكهف؟

ـ ماذا سأفعل إن استيقظت ، دعيني وشأني

ـ اتصل زوجك على والدك وكان في حالة غضب شديد منك .

ـ وما الجديد يا أمي ، هو دائما هكذا .

ـ هل تحدثتي في أسرار بيتك مع صديقاتك ؟

ـ لم أتحدث في شيء يا أمي ، هو كاذب يريد أن يبرر لنفسه فعلته القذرة.

ـ من أين علموا بما حدث إذًا ؟

ـ علموا من ضربه لي يوميا، وصوت صراخي المكتوم و تعذيبي ، ما رأيك ؟

ـ التمسي العذر إلى زوجك ، هو أكيد يريد طفل منك .

ـ ماذا علي أن أفعل ؟

ـ تعالِ معي للطبيبة لنطمئن عليك، وعودي إلى بيتك يا فيدان .

ـ أنا أريد الانفصال وأنتِ تقولين لي أطفال وطبيبة و رجوع !

ـ لا أحد سيقبل بهذا الهراء، لا تفكري بهذه الطريقة مرة أخرى .

ـ من الواضح أنكِ لم تفهمي كلامي، وليس له تأثير، دعيني أكمل نومي .

تركتها فيدان وذهبت في النوم ، لم تكن تهوى النوم ولكن وجدته المهرب الوحيد لها ، لأنه في بعض الأحيان يصبح الكلام عديم الفائدة .

الاسكندرية الساعة الخامسة والنصف ...

ـ هيا يا فهد ارتدي ثيابك واذهب، أريد الذهاب إلى صديقاتي، لأنني في كل مرة أعتذر لهم .

ـ لم أشبع منك بعد .

ـ أنا أيضا يا حبيبي، ولكن لا أريد أن يشعر أحد بشيء

ـ حسنا يا جميلتي .

وعلى غير العادة رتبت حور منزلها وقررت الصعود إلى ليلى لتجلس معها على انفراد بعيدا عن نساء العمارة .

طرقات على الباب، وصوت طفولي قادم من بعيد

ـ من ؟

ـ افتحي الباب يا كهرمان أنا طنط حور .

نادت كهرمان على امها لتفتح الباب لأنها لا تسطيع فتحه ، قالت ليلى مداعبة طفلتها:

ـ قردتي الصغيرة لا تستطيع فتح الباب لقصر قامتها، وحملتها لتفتح هي الباب بيداها الصغيرتين .

ـ تفضلي يا حور.

ـ شكرا ليلى ، هل ستصعدين للروف الليلة ؟

ـ نعم يا عزيزتي ولكن في حدود الساعه الثامنه بعد ان تنام كهرمان .

ـ سأذهب أنا لتنهي أمورك .

ـ لالالا، ابقي معي، لا يوجد شيء مهم .

ـ حسنا

سألتها ليلى؟

ـ هل أنت بخير يا حور ؟

ـ نعم يا عزيزتي ، لماذا ؟

ـ لا شيء، فقط أريد الاطمئنان عليك ، إذا أردتِ أن تتحدثين معي في أي شيء، أنا لا أمانع.

قالت حور وكأنها وجدت أخيرا المدخل المناسب:

ـ في الحقيقة نعم ، أريد أن أتحدث معك في أمر يخصني .

ـ و أنا أريد أن أسمعك .

ـ أنا واقعة في الحب

قالت ليلى بفرحٍ شديد:

ـ يا آلهة السماء ، من يكون سعيد الحظ ؟

ـ لا تعرفيه ولكن أشعر بأن الأمور متداخلة في بعضها البعض .

ـ سأفهمك ، فقط قولي لي ما يحدث

ـ يصغرني سنا ، يتدرب معي في المكتب .

ـ وما المشكلة هنا ؟

ـ ألم تعترضي ؟

ـ ولِمَ الاعتراض ؟

ـ لأنه يصغرني مثلا ؟

ـ وما المشكلة ؟ هناك أمور أهم بكثير من العمر يا حور، مثل المعاير التي تريدينها في الشخص ولا تستطيعين التخلي عنها،هل يقدم لي ما أحتاجه وأقدم له ما يحتاجه أم لا؟

ـ ماذا تقصدين بالمعاير ؟

ـ أقصد ما هي الأساسيات التي تحتاجينها في العلاقة ولا تستطيعين التخلي عنها، وما هي العيوب التي لا تستطيعين التعايش معها .

ـ ما هي معاييرك أنتِ في اختيار العلاقة ؟

ـ المعايير يا عزيزتي تختلف من شخص إلى آخر ، هناك أشياء أنتِ لا تتقبليها، أنا أتقبلها بصدر رحب، ويمكن للعكس أن يحدث ، هل فهمتيني ؟

ـ نعم فهمت .

ـ هناك شيء مهم عليك أن تسأليه لنفسك ، وقت حزنك هل يكون بجانبك أم لا ؟

ـ أشعر بالسعادة و أنا أتحدث معك ، شكرا لك .

ـ أنا أيضا يا عزيزتي ستجديني بجانبك في أي وقت ، ما رأيك أتصل لكي تكون السهرة عندي الليلة؟ .

ـ لا يوجد عندي مانع .

اتصلي أنتِ بهم، وأنا سألعب قليلا مع كهرمان

ـ حسنا .

ليلى كانت خير مستمع دائما ، لا أذكر أنه ذهب عندها تائه إلا ورجع وهو يعرف أين ينتمي أو على الأقل يستطيع أن يبدأ رحلة البحث عن ذاته ، كانت تؤمن أن البشر عبارة عن مجموعة قصص لكل منا قصة ولكل منا جرحه الخاص

ـ أعتقد أن مدام فيروز فقط هي من ستأتي

ـ لماذا ؟

ـ أسمهان بالقاهرة، وفيدان بكفر الشيخ، أما فاتن اعتذرت لأنها تشعر بالإرهاق الشديد.

ـ حسنا ، هيا لنقوم بتحضير القهوة إلى أن تأتي فيررز

ـ هيا بنا ، ماذا تفعل كهرمان ؟

ـ لعبت معها قليلا ثم ذهبت للنوم .

ـ رائع ، ستكونين أم رائعة يا حور

قالت باستغراب:

ـ لماذا ؟

ـ لا أعلم ولكن شعرت بهذا .

ابتسمت حور وقالت

ـ شكرا لك ، انا اشعر بتحسن في حالتها النفسيه .

ـ نعم هناك تحسن الحمد لله

ـ قولت لك يا ليلى أنك قادره على حل الامر .

ـ أتمنى أن أظل هكذا دائما

ـ لا تقلقي يا عزيزتي سيكون..

قاطعم جرس الباب ، قالت ليلى:

ـ إنها فيروز، سأفتح لها ..

فتحت الباب ورحبت بها، مضت وراء ليلى إلى حجرة صغيرة مربعة، اصطفت بأضلاعها الشلت، وانبسطت فوق أرضها سجادة مزركشة، وفوقها طاولة نحاسية صغيرة يعلوها معدات تحضير القهوة ، جلسوا جمعيا وأعدت ليلى القهوة ..

" لكل صداع قهوة ، ولكل فراغ أغنية "

هكذا وصفت مدام فيروز حالتها .

سألتها ليلى؟

ـ ما بك يا عزيزتي ؟.

ـ أشعر بصداع يأكل جمجمة رأسي، ولكن حمدا لله بدأ تأثير القهوة يعمل .

ثم سألت؟

ـ هل حدثتم فيدان ؟

ـ نعم يا أمي اتصلت بها وحكيت لها ما حدث .

لم تكن فيروز أمهم البيلوجية فهي أمهم بروحها و حنانها الدائم عليهم..

ـ حسنا سأتصل بها غدا لأطمئن عليها .

قالت حور بانفعال:

ـ أنا لا أعلم لما لا تتطلق منه هذا القذر .

فيروز:

ـ أهلها لم يقبلوا بشيء كهذا .

حور:

ـ نحن نعلم مصلحتها أكثر من أهلها، أنا أريدها فقط أن تتجرأ ونحن لن نتركها أبدا .

ليلى:

ـ سنتحدث معها إن شاء الله ، ما رأيكم، هل أقوم بتشغيل بعض الموسيقي؟

فيروز:

ـ بالطبع نعم .

ظلوا يتنقلون بين أمور الدنيا ومشاكلها، ومن أغنية إلى أخرى، إلى أن انتهت الجلسة الثلاثية عند الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل .

*****

في اليوم التالي ...

كفر الشيخ الساعة السادسة مساءًا .

ـ هل انتهيتي من ارتداء ملابسك يا فيدان ؟

ـ نعم يا أمي رغم أنني غير راضية على الذهاب معك .

ـ أنا أمك و أعرف مصلحتك جيدا ، هل تتخيلين أني أريد لك الضرر؟

ـ لم أقل هذا يا أمي ، أريدك فقط أن تنظري إلى الأمور من زاوية أخرى .

ـ صدقيني يا ابنتي سيكون كل شيء بخير، لا تقلقي .

حاولت فيدان كثيرا تصديقها، ولكن كان ينتهي بها الأمر دائما إلى الوقوع في حفرة اليأس، لم تكن تعلم أن في بقعة ما على هذه الأرض هناك من يعترفون بوجود شيء يسمى اللاجنسية ،

كانت تعتقد دائما أنها خارجة عن الطبيعة، و أن عليها أن تعالج ، فيدان من الشخصيات سهلة الإقناع، وبالأخص لو كان من أمها .

****

كوبري استنالي وقت الغروب، نسمات الهواء التي تأتي لتخبرنا أن كل شيء سيصبح على ما يرام، كانت حور جالسة مع فهد تستمتع بالهواء الذي يداعب خصلات شعرها تفكر فيما قالته ليلى ، نظرت بين عينيه الحادة وقالت:

ـ لما لا نتزوج يا فهد ، أنا أريد أن تصبح علاقتنا رسمية أكثر؟

قال فهد بامتعاض:

ـ نريد المزيد من الوقت لكي لنفهم بعض أكثر .

ـ المزيد من الوقت بعد كل ما حدث بيننا ؟

ـ نعم يا حور ، أنا لا أستطيع أن أواجه أهلي الآن بعلاقتنا.

ـ لماذا ؟

ـ أنتِ تعلمين جيدا نظرة المجتمع للمطلقة، وهناك شيء آخر، أنتِ تكبريني في السن كثيرا ، كيف لي أن أواجهم بكل تلك الأمور الآن ؟

ـ أنا أعلم جيدا أنه من يريد شيء يفعل كل شيء ليحصل عليه ، أنت غير مسؤول،

ثم أكملت بانفعال مصحوب بصوت بكاء مكتوم:

هل ترى أنه من التسرع أن نقوم بمواجهة العالم، ولكن ليس من التسرع ما حدث بيننا؟؟ ، تتكلم عن نظرة المجتمع للمرأة المطلقة ولكن تذهب مسرعا إلى أحضانها ليلا، تريد فتاة

صغيرة في السن، ولكن تموت شوقا إلى، ما هذه الازدواجية بحق الجحيم ، أنا أكرهك ولا أريد أن أكمل حياتي مع شخص ضعيف لا يستطيع أن يتخذ قرارات حياته بدون تدخل المجتمع والأهل ثم بصقت عليه وحملت حقيبتها وذهبت.

هل تسرعت حور ؟

لا لم أقصد فيما فعلته قبل قليل، أقصد عندما دخلت في علاقة حميمة وهي لا تعلم كيف يفكر الطرف الآخر؟ .

ذهبت حور لتختبئ بين أحضان فراشها تبكي وتبكي

تذكرت كل شيء مؤلم حدث في حياتها ، تلوم نفسها لأنها تعلم جيدا أن نحن نتاج أفعالنا، فلا تستطيع محاسبة أحد غيرها .

نصبت المحكمة فكانت القاضي والمتهم ، كانت السجين والسجان، ظلت طوال الليل تحاسب نفسها على كل شيء، ألم يأن الأوان يا حور لرجوع الروح إلى الجسد ؟

*****

الأضواء و الأغاني تحتفل معهم بقدوم يوم الخميس، كان يومهم المفضل، عادت أسمهان من القاهرة، وضعت حقيبتها سريعا في منزلها، ثم صعدت إلى الروف، دخلت عليهم في حماس شديد وقالت:

ـ هلا بالخميس ، اشتقت لكم كثيرا .

قاموا جميعا في حماس واحتضنوها بشدة .

ليلى :

ـ حمدا لله على سلامتك يا حلوة

أسمهان:

ـ الله يسلمك يا عزيزتي ، أين فيدان لم تأتِ بعد ؟

فاتن

ـ ستعود غدا إن شاء الله .

أسمهان:

ـ ماذا حدث ؟ هل من جديد ؟ ..

مدام فيروز:

ـ لم تقل شيء ، قالت: ستحكي لنا عندما تأتي

قالت أسمهان:

ـ حورية البيت، يبدو على وجهك معالم التعب ؟ هل أنتِ بخير ؟

حور:

ـ أشعر بالغثيان الشديد .

أسمهان:

ـ هيا لنذهب إلى الطبيب .

حور:

ـ لا، سأكون على ما يرام .

ليلى:

ـ سأحضر لك شيء دافئ .

فيروز:

ـ وأنا أيضا من فضلك يا ليلى

ليلى:

ـ حسنا يا عزيزتي.

حضرت ليلى كل شيء وبدأت السهرة ، ظلت أسمهان تروي عن مسلم كأنه آخر رجال العالم، وتتمايل بفرح على أنغام الموسيقى ، كانت سعيدة جدا، وكانت تشعر أن كل الأمور بخير وأن الكون أجمع مسخر فقط لإسعادها .

****

الفصل الرابع

" انتحار السندريلا "

لكل منا طاقة، ولكل منا تصرفه عند التعامل مع الصدمات، هناك من يلجأ إلى قوة الآلهة، وهناك من يذهب إلى الفراش لينتقل إلى عالم الخيال، عالم اللاحدود، وهناك من يعاقب نفسه ويجلدها على الاختيارات المتتالية الخاطئة ،هناك من يرد الصراخ حتى يشعر أحد بثقل جبال المشاعر المتراكمة في قلبه ، وهناك من يهرول مسرعًا إلى أحضان من يحب، هناك من يبكي بشدة وهناك من تبقى دموعه متراكمة كالبركان، ولكن في لحظة لا يستطع أحد تصورها تخرج على هيئة انفعال أو كلمات سنونها جارحة أو بهدم كل شيء حوله، وهناك من يقرر أن ينهي حياته، هؤلاء لم يريدوا قتل أنفسهم هم فقط يريدون قتل شعور ما، تغير شيء ما ، بعض الاحتواء والاحتضان لإنقاذ حياة شخص

أنا لم أشعر بالأمان طوال حياتي إلا في أحضان كلبتي الجميلة التي رفضت أن تخضع للتدريب وهربت، هربت وأنا أموت من الاشتياق كل ليلة ، أين أنتِ ؟ فهي في مكان لا يعلمه إلا الله، أشعر أنني أريد أن أصرخ طالبة النجدة أرجوكم ساعدوني، قلبي ينهار من الأحزان، ولكن لا أستطيع، لم يكن هناك من سيتفهم حجم معاناتي ، هناك من يهرب مثل تلك الجميلة، وهناك من يواجه الأمر ، لا يدرك البشر شيء في منتهى الخطورة، أن لكل شخص ظروف لا أحد يعلمها غيره وأن مراحل الإجهاد النفسي تختلف من شخص إلى آخر .

فيمكن لفلان أن يتحمل شيئًا أنا لا أستطع أن أفكر فيه، ويمكن لشخص أن يحمل كل المشاعر السيئة في قلبه، ولكن ابتسامته لا تفارق و جهه أبدا .

" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها "

كونوا ملاذ الأمان للبشر،وإن لم تستطيعوا إسعاد شخص فلا تجرحوا .

يقول بعض الأطباء أن الحزن والقلب المكسور من أكثر مسببات الكانسر وأمراض القلب، هناك الكثير قرر أن ينهي حياته لسبب أو لآخر، وهذه بعض الرسائل.

" لطالما كنت مصابا بدوار الخطر، وها أنا أدفع الثمن عن جميع الذين على غراري ، آمنوا أن الحياة بلا جوهر

"كوستاس كاريوتاكيس"

"إن الحزن سيدوم إلى الأبد"

" فان جوخ"

" الحياة لا تحتمل ، سامحوني"

" داليدا"

"لدي إحساس عميق بأنني لست حقيقة تماما ، بل إنني زيف مفتعل ومصنوع بمهارة، وكل إنسان يشعر في هذا العالم بهذا الإحساس بين وقت وآخر، ولكني أعيش هذا الإحساس طيلة الوقت، بل أظن أحيانا أنني لست إلا إنتاجًا سينمائيًا فنيًا، اتقنوا صنعه" " مارلين مونرو"

" إلى الجميع، لا تتهموا أحد في موتي ، ماما ، إخوتي ، ورفاقي ، سامحوني ، هذه ليست الطريقة الصحيحة، ولكن لم يبقى باليد حيلة "

"مايكوفسكي"

*****

هل فكرتم في الانتحار من قبل ؟

ما هو الإحساس الذي كان يسيطر عليكم وقتها ؟

هل عرفتم أناس ذات ميول مختلفة ؟

هل تعلمون أن هناك أنواع كثيرة من البشر ؟

مثل اللاجنسية ، المثلية ، ثنائي الميول الخ....

نعم تشعرون بالاشمئزاز الآن، ولكن ماذا إن كان هؤلاء تعرضوا لشيء ما ؟

بعض البشر يعتبر أن هذا مرض و ابتلاء، والبعض الآخر يجد أن هذا أمر طبيعي ، فهناك العديد والعديد الذي لم يتم اكتشافه، أو على الأقل لم نراه بعد .

حجم من المعاناة كبير عندما يبدأ الشخص باكتشاف ذاته وميوله ، كأن نفسه صحراء خاوية وهو تائه فيها لا يعلم أين يذهب، وكيف سيواجه نفسه أولًا وكيف سيواجهه المجتمع ..

يقول صديقي كرار عن اللاجنسية:

" اللاجنسية asexuality هي أحد أنواع الميول التي تتعلق بالجنس، وهي عدم وجود دافع للجنس .

هذا الامتناع لا يحدث بسبب أن الشخص متذمر أو أعزب أو أو ....

لأن كل تلك الحالات مؤقتة وهي لا تنفي وجود الدافع للجنس .

بينما اللاجنسية توجه دائم .

تعاني النساء الشرقيات اللاجنسيات بشكل أكبر من الرجال اللاجنسين، لأن الاضطهاد لا يحدث فقط بسبب الضغوط الاجتماعية وإنما بسبب الزواج القسري أيضا، حيث تضطر المرأة اللاجنسية إلى ممارسة الجنس مع من لا ترغب، وهذه العملية اغتصاب حرفي .

اللاجنسية هي توجه طبيعي مثلها مثل المثلية والمغايرة ، حيث أن الإنجاب و المتعة الجنسية هي مسائل اختيارية عند كائن راقي على سلم التطور مثل الإنسان"

*****

على فراشها وحيدة تبكي ، يتهموني ببرود المشاعر كيف لهم أن يجرؤوا ، تذكرت كل ما قالته لها الطبيبة من تصنع المتعة و المحاولة لتسهيل الأمرعلى ذاتها ، وأن تكون أنثى في فراش الزوجية حتى يرضى عنها زوجها.. سألتها إن تم ختانها؟ وكانت الإجابة لا ، هي تعلم جيدا أن المسؤول عن الإثارة الجنسية هي " الغدة النخومية" بالمخ ، أما عن الختان فهو يؤثر على الوصول لمرحلة " الإشباع الجنسي" والمتعة الزوجية لدى المرأة .

عادت إلى منزلها، ليس رغبة منها، ولكن لتنفيذ رغبة والديها .

في حدود الساعة التاسعة تجمعوا في روف البناية، كل أذانهم صاغية لما تتحدث فيه فيدان، حكت لهم كل ما حدث بينها وبين والدايها، وبينها وبين الطبيبة و اعتراض أهلها على

الطلاق، وكم هي متعبة من تصنعها أنها على قيد الحياة، وعن رفضها التام لفاروق حتى في علاقته الجنسية معها، تريد الهروب من كل تلك القيود، ولكن لا تعلم إلى أين ..

قالت مدام فيروز في محاولة منها لتهوين الأمر عليها:

ـ أعتقد أن ما تشعرين به من عدم تقبل لكل شيء هو فاروق وعدم حبك له

قالت فيدان في يأس:

ـ أنا لا أريده ولا أريد غيره .

فاتن:

ـ أنت لا ترغبين به لأنك لا تحبيه، ولكن إذا جاء شخص آخر ستحبين معه الوضع والحياة كثيرا .

ـ أنا لا أريد أن أعيش قصة حب ، أنا أريد أن أبقى بمفردي ، الحياة ليست رجل، الحياة تحمل معاني أكبر من حسرها في وجودي على فراش الزوجية .

كانت حور غارقة في التفكير لا تشاركهم الحديث، أما ليلى فكانت تستمع باهتمام شديد لما تقول .

" أسمهان "

ـ ماذا تريدين أن تفعلي ؟

ـ أريد الطلاق ، ولكن صعب الحصول على ما أريد .

ليلى:

ـ ما رأيك أن أتكلم مع والدتك ؟

فيدان:

ـ أنت تعلمين جيدا أنه بلا فائدة

ليلى:

ـ أكملي حديثك نحن نستمع لك باهتمام

ـ لم يعد لدي قدرة إطلاقا

قالت بيأس شديد، ثم تنهدت و أكملت ، لم يعد لدي قدرة على المحاولة في أي شيء مره أخرى ، المحاولة في شيء من الأساس حقي، حقي في اختيار الحياة التي أريداها ، حقي فيما أرغب، حقي في هذه الحياة، لم يخلقني الله على هذه الأرض لأرضي عباده من البشر، هذه حياتي وأعيشها كما أرغب، سواء رغبت في إنجاب الأطفال أو لا، لا أريد أن يعترض أحد على نصيبي في الحياة، هل أنجبونا ليحققوا أهدافهم في حياتي؟ اتهموني بالبرود لأنني لا أرغب في هذا السادي ، اتهموني بكل شيء ولكن بعد كل هذا لم أعش الحياة التي أرغب بها .

ولأول مرة تبوح فيدان عما يدور في قلبها ...

ليلى:

ـ لا تفقدي الأمل يا عزيزتي، نحن هنا من أجلك ، أريد منك المزيد من الصبر والطاقة، فكري في أطول ليلة سيئة مرت عليكِ، ألم يأتي بعدها الصباح ؟

فيدان:

ـ أنا لم أشعر أنني بخير طوال حياتي، ولم يأتي الصباح على قلبي أبدا ، أنا تعبت من كل شيء.

ظلت تبكي وتبكي، احتضنوها جميعا،حاولوا تخفيف الأمر، ولكن كان الموقف أصعب من أن ينتهي بعناق .

قالت مدام فيروز:

ـ سيدنا عمر بن الخطاب قال " اعتزل ما يؤذيك ... وعليك بالخليل الصالح ، وشاور في أمرك الذين يخافون الله "

من رأيي أن الطلاق أنسب حل

حور:

ـ سنفعل المستحيل لتتخلصي منه حتى لو لزم الأمر أن تقومي بخلعه

أسمهان:

ـ و أنا سأطرده من المنزل وابقي أنتِ هنا، ولا أريد منك أي مال، لا يهم أي شيء في الدنيا ، المهم أنتِ .

تبادلوا الكثير من الحكايات لتخفيف ما تشعر به داخل قلبها ، كانوا على استعداد تام لفعل أي شيء لتصبح بخير ، هم أكثر من شعروا بها وحاولوا مرارا تخفيف معاناتها.

كل محاولاتهم تحولت إلى سراب بمجرد أن نزلت فيدان إلى سجنها مرة أخرى.

وجدته ينظر لها باحتقار شديد، وقال في غضب شديد:

ـ لا يوجد لك خروج مرة أخرى من البيت.

اقتربت اليه وصرخت في وجهه:

ـ ماذا تريد مني ، هل أنت مجنون أم ماذا ؟

فأمسك ذراعها في شدة وقال:

ـ أنتِ لم تري جناني إلى الآن ، أنتِ امرأة بلا مشاعر أو عقل.

ـ تركت لك العقل والمشاعر، ابتعد عني أنا لا أحبك، أنا أريد الانفصال عنك، احتفظ بكرامتك و ابتعد عني ، لماذا تبقى مع امرأة مثلي بلا مشاعر وعقل؟ اذهب لمن تمتلك تلك المميزات .

ـ أنا من أقول أنني لا أريد أن أبقى معك ليس أنتِ من تقررين هذا يا فيدان

ـ دعني وشأني، أنا أكرهك و أكره كل الليالي التي عشتها معك ، أنت مريض وتحتاج الخضوع إلى علاج مكثف .

هجم عليها وضربها على وجهها فردت له الضربة ، فزاد في جنونه عليها، وكانت لاول مرة تدافع على ما تبقى لها من كرامة ، كانت ليلة صعبة عليها كثيرا ، قام بربط فمها بقطعة من القماش و ربطها في سرير الغرفة بعد أن نزع عنها كل ثيابها ، حاولت كثيرا التخلص منه ولكنه كان يتفنن في تعذيبها، استخدم معها كل طرق الضرب، وكان صوتها مكتوم، ممزوج بصراخات، والدموع تنهمر من عينيها ، كلما قاومته كلما زاد في افتراسها إلى أن فقدت الوعي .

*****

ـ أنا حامل .....

ردت ليلى باستنكار شديد

ـ أتمزحين معي يا حور ، لا أحب هذا المزاح من فضلك .

ـ أنا لا أمزح معك يا ليلى

ـ حسنا ! أين ذلك الوغد الآن ؟

ـ لا أعلم، إنه لا يرد على مكالماتي، ولا رسائلي النصية منذ آخر مرة التقينا بها

ـ أين بيته ؟ سأذهب معك إلى بيته

ـ أنا لا أعلم عنه أي شيء يا ليلى .

ـ وما العمل الآن ؟

ـ لا أعلم.

ـ لا تقلقي سأكون بجانبك و أنتِ تقومين بإجهاض الطفل

ـ ومن قرر هذا ؟

ـ لا أفهم ماذا تريدين مني أن اقول

ـ كلامي في منتهى الوضوح ، أنا لن أقتل طفلي مهما كلف الأمر من متاعب

ـ ماذا يدور في رأسك يا حور ! أخبريني .

ـ سأحتظ بالطفل

ـ و أين والده الذي سيعترف به ؟

ـ لا أريده في شيء ، سأسجله على اسمي .

ـ هل يوجد قانون كهذا ؟

ـ يوجد في مصر ولكن تكون الاجراءات في غاية الصعوبة، إلى جانب هذا الفضيحة التي ستلازمني وتلازم طفلي من بعدي ، ولكن في اليونان الأمور أسهل كثيرا .

ـ وماذا ستقولين لأهلك ؟

ـ لا أعتقد أنهم يتمتعون بالجهل السائد هنا ، سأتكلم مع أمي ، أعلم أنها ستغضب مني كثيرا، ولكن ستصبح الأمور أفضل مع الوقت .

ـ لا أعلم ماذا أقول لك، ولكن أنتِ الوحيدة التي تستطيعي أخذ قراراتك ، ولكن هل ستتركين هذا الحيوان يفلت بعملته هكذا بدون عقاب حتى ؟

ـ هو لم يجبرني على شيء يا ليلى .

ـ ولكن أنتم شركاء في وجود هذا الطفل .

ـ لم يكن هناك اتفاق مسبق بيننا أنه سيكون هناك طفل ، أنا امرأة تتحمل نتيجة أخطائها.

لا تعلم ليلى ماذا تقول لها ولكن تعجبها كثيرا حور ، فهي امرأة لا يستطيع أحد هزيمتها،امرأة مسؤولة تعلم كيف تتحمل نتيجة الخطأ ، تلك المقولة " من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر "تعجبني كثيرا ، ليس هناك من لا يخطئ ولكن هناك من يتصرف كأنه الله ويحاسب البشر، وهناك من يشعرني أنه ملاك أنزل من السماء ، وفي الحقيقة نحن جميعا بشر والبشر خطاؤون ....

لا تعلم كم من الوقت قد مر ، قامت من على سريرها وهي تشعر أن جسدها يصرخ من الألم ، لا تتذكر كيف فقدت وعيها ، كانت تبحث عن شيء لتضعه على جسدها ، كل شئ يؤلمها ، دخلت إلى الحمام ونظرت في المرآة بحسرة

هناك العديد من الكدمات التي تؤلمها وكثير من العلامات على وجهها ، دخلت تحت المياه الساخنة لتخفف عن نفسها الوضع ، في حالة صدمة لما حدث ، كل ما فعلته أنها دخلت إلى فراشها ، لا تتحدث ولا تبكي، و لا تريد الذهاب إلى أحد، كل ما تريده هو أن تبقى في فراشها ، تحاول أن تستوعب ما حدث، ولكن لم يقوى عقلها على استيعاب ما حدث ، مرت الكثير من الأيام على هذا الوضع ، وهو منذ رجوعها يعاملها كأنها جارية، كأنها من سبايا الحرب، أو من جواري سوق العبيد، كانت منطفئة، ويزيد الانطفاء يوما بعد يوم ، أصبحت اجتمعاتنا قليلة جدا ، حور منشغلة بإجرءات السفر، أنا وفاتن كنا منشغلين بفترة الامتحانات العصيبة، أسمهان في كوكب الحب، مدام فيروز في بيتها الرقيق تسأل عنها بين حين و آخر، مضاجعات وحشية يومية أعتقد أن زوجها مثلما يطلقون الأطباء النفسين سادي..

هل تسطيع أن تتخيل حجم الكارثة، رجل سادي مع امرأة لا جنسية، ما هذا بحق الجحيم!!!

*****

الفصل الخامس

"دموع على قطعة قماش"

كان يا مكان في سالف العصر والزمان كان هناك بعض رجال الدين الذين حثوا على أن الحجاب عفة للرجل قبل المرأة ..كيف ؟

دعوني أخبركم .....

ارتدي الحجاب لتعفي الرجل وتحمي جسدك من الذئاب البشرية ، أعتقد أن في هذا إهانة للرجل ، شبهوا الرجل بحيوان لا يمتلك عقل للتحكم في غرائزه

شبهوا المرأة بالحلوى المكشوفة ، الجوهرة ، شبهوها بكل شيء إلا الإنسان .

ألا تمتلك عقلا للتحكم في شهواتك ؟

نحن بشر ولدينا عقل لسنا حيوانات ، حتى الحيوانات أعتقد أنها تستطيع التحكم في غرائزها، أو على الأقل يوجد لديهم قانون لكل شيء...

في خطاب للرئيس الراحل جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٣ عندما التقى بالمرشد العام للإخوان المسلمين كان من ضمن مطالبة " يجب أن تقيم الحجاب في مصر "

رد عليه أحد الحاضرين " طب ما يلبسها هو "

كان من رأي جمال عبد الناصر "كل واحد في بيتوا هو اللي ينفذ هذا الكلام "

رد عليه المرشد العام " أنت المسؤول عن هذا الكلام "

رد جمال عبد الناصر " إنت عندك بنت في كلية الطب مش لابسة طرحة ولا حاجة ملبستهاش طرحة ليه؟ ، إذا كنت انت مش قادرتلبس بنت واحدة اللي هي بنتك عاوزني أنا أنزل ألبس عشرة مليون واحدة ؟"

وكأن الدين لعبة بين أيادي رجال الدين ....

*****

تقول مروة مراد...

"الحجاب ظاهره دفع بها تيار الإسلام السياسي ليثبت وجوده في المجتمع، فتورط في الدفاع عنها وحث عليها الأزهر ، انتشر بشكل كبير وموسع في السبعينيات ، وبعد التورط أصبح من الصعب التراجع عنه

الحجاب موضة سياسية تحولت لظاهرة دينية شديدة التجذر في الوعي المجتمعي

إما أن نقول هذا ، أو نتصور أن كل هؤلاء المشايخ الأجلاء باعوا ضمائرهم في وقت من الأوقات وكانوا يدفعون بزوجاتهم وبناتهم ونساء المؤمنين للنار دفعا.

الحقيقة أنه لولا الإخوان المسلمين لما رأينا شيء اسمه "حجاب " في العصر الحديث أو سمعنا عنه، أو اكتشفنا في أواخر السبعنيات أنه فريضه غائبة

حتى الإخوان المسلمين في بدايتهم لم يشغلهم الحجاب ، وعرضت بعض الصور للشيخ الباقوري وهو قبل تقلده لمنصب وزير الأوقاف كان كادرا هاما من كوادر الجماعة، وحسن البنا ذات نفسه لم يفرض على أخته أو ابنته الصغيرة الحجاب "

بالنسبه لمن سيعلق أن الحجاب حرية شخصية

فخلعه أو ارتدائه حرية شخصية لا يخص إلا صاحبة الشأن فقط ، فلا دخل لأبيها أو أخيها بهذا الموضوع

فهي إن ارتدت الحجاب فهذا لنفسها وربها فقط لا غير

وفي النهاية أود أن أقول " السياسة عندكم كالثراب والدين لعبه بين أيديكم "

*****

يوم الخميس الساعة العاشرة والنصف مساءا

اتصلت أسمهان بجميع نساء العمارة للتجمع كالعادة

اتصلت مرارا بفيدان ولكن كانت محاولة بائسة منها

تجمعن جميعا، أخيرا ستحصل ليلى وفاتن على القليل من الراحة بعد انتهاء الامتحانات والاستعداد للفصل الدراسي الثاني ....

فاتن:

ـ أين سندريلا البنايا ؟

مدام فيروز:

ـ ماذا تقصدين ؟

فاتن:

ـ فيدان !

ضحكت أسمهان وقالت:

ـ مشاكسة أنتِ دائما ، ما هذه الأسماء الغريبة التي تطلقيها علينا ، ولكنه أعجبني كثيرا، اتصلت بها كثيرا ولكن لم تجيب أبدا

ليلى:

ـ تعال معي لنذهب لها

حور:

ـ نحتسي قهوتنا ونذهب .

كانت مدام فيروز تشعر بضيق شديد بين صدرها و كأن حزن العالم تجمع به ، قالت لهم:

ـ أشعر أن هناك شيء سيء في طريقه إلينا .

بلعت حور ريقها بصعوبة وأحست أنها تشعر بشيء تجاهها، فحاولت تغيير الموضوع ، كانت تلعب فريدة مع كهرمان، وخلال تلوينهم للعرائس التي جلبتها لهم ليلى وجدوا كوب متروك من الأمسيات القديمة وتحته ورقة موضوعة بعناية .

فتحت فريدة الورقة و علمت أنها رسالة من جارتها فيدان، فنادت على أمها وجيرانها بسرعة ، أخذت فاتن منها الورقة وبدأت تقرأ ما بها بصوت مرتفع .

*****

مرحبا أبطال حكايتي ، مرحبا بمن كانت تطيب الجروح معهم ، مرحبا يا ليلى يا خير مستمعة و أجمل أم على الإطلاق، أريد منك الاعتناء بكهرمان والاعتناء بذاتك أكثر، ففي الأونة الأخيرة كنت لا تهتمي لصحتك جيدا

مرحبا بجميلة البناية حور، أعلم أنك قوية وستظلين دائما هكذا، كنت أستمد القوة والمرح من جمال قلبك.

مدام فيروز أعلم أن الله " عليم بذات الصدور و أنه رحيم بنا " ولكن لم أستطيع أن أتحمل أكثر ، أتمنى لكِ كل الحب و الاحتواء بقدر الليالي التي كان حضنك هو الأمان فيها.. فاتن كوني صديقة لابنتك حتى لا تقرر أن تنهي حياتها، تذكري دائما أن لها كيانها وعقلها، أهلا يا عاشقة الفن والطرب " أسمهان " كنت أود أن أحضر زفافك على " مسلم " ولكن صدقيني لم يعد الأمر يحتمل ، أعلم أنكم تعشقون بعضكم البعض.. ولكن لم يترك لي فاروق و أهلي خيار آخر، لم يتحتمل جسدي الهزيل كل تلك الكدمات المتروكة علية ، لم أعد أحتمل اغتصابي يوميا وشعوري أنني جارية ، وما زاد الطين بلة أنه لم يعد هناك تلك الأمسيات الرائعة، لأنه لا يريد لي ذلك الوحش المدعو فاروق أن أحصل على قسط من الراحة ، تذكروا دائما أن من قتلتني هي العادات التي تنظر إلى المطلقة نظرة سيئة و أهلي الذين لم يستوعبوا حجم معاناتي ، وذلك الذئب الذي استغل كل هذا لصالحه وتناوب على جسدي و حياتي وروحي بلا رحمة ولا شفقة

وداعا كل الأمسيات الجميلة ، وداعا كل الأغنيات الرقيقة ، وداعا يا جسدي ستحصل روحي على الحرية.

نظروا إلى بعضهم البعض والدموع تنهال من أعينهم ، علامات الصدمة والذهول!!

لا يريدون تصديق هذا ، يحاولون إقناع أنفسهم أن هذا كله ما هو إلا كابوس وسينتهي في التو واللحظة ، هموا جميعا بالنزول إلى منزل فيدان، طرقات عالية على الباب وصوت رجالي قادم من بعيد ممزوج بعصبية

ـ ماذا هناك، أجننتم ؟

فتح فاروق الباب في تهكم شديد

ـ خير ؟

ليلى:

ـ أين فيدان ؟

فاروق:

ـ لا أعلم لم أراها منذ خمسة أيام ، أعتقد أنها ذهبت إلى أهلها

حور:

ـ أنت عديم الدم و الرحمة ، لعنك الله

رد فاروق بصوت عال جدا:

ـ أنتِ مصابة بالجنون ، ماذا تريدي؟ ، اذهبوا من هنا.

مدام فيروز وهي واضعة يداها على صدرها والدموع تنهمر من عينها

ـ أنت من قمت بقتلها يا مجرم

فاروق:

ـ كبرتي أيتها العجوز وتحتاجين إلى علاج ، ماذا تريدون مني ؟

قالت ليلى محاولة التحكم في أعصابها:

ـ تركت فيدان هذه الورقة لنا ، وأنت تقول الآن انك لا تعلم عنها شيء ، من فضلك اتصل بوالدتها نطمئن عليها

خطف فاروق الورقة منها وبدأ يقرأ بعيونه ثم رمى الورقة فالتقطها حور وذهب مسرعا وجلب الهاتف واتصل على والدة فيدان ،كان أصعب اتصال يقوم به خلال حياته، يرجو أن ترد وتطمئنه أن زوجته بين أحضانها كانت الثوان التي ينتظرها كالدهر،سألها في هلع شديد ولكن جاءت الإجابة كالصاعقة أنها لم تراها منذ آخر لقاء كان بينهما ...

أغلق فاروق الهاتف بعد أن انهال علية كم كبير من الأسئلة، هل حدث مشكلة؟ والى أين ذهبت؟ لم يكن يعلم بماذا يجيب، فأغلق الخط بعدما حاول طمئنتها، ولكن بلا جدوى ،اقترحت حور الذهاب إلى قسم الشرطة والإبلاغ عن الواقعة، فهي متغيبة منذ خمسة أيام وفي الإجراءات القانونية يتم البحث عن المتغيب بعد مرور ٢٤ ساعة ، لذلك سيتم التحرك سريعا لمرور كل هذه المدة ، وافقوها جميعا رغم خوف فاروق الشديد ولكن لم يكن هناك مدخل للهروب، فعليه مواجهة الموقف وإلا سيتم الشك به ، ذهبوا ودخلت حور وتحدثت إلى الظابط وسلمت له الجواب الذي تركته، وبعد كم هائل من التحقيقات معهم طمئنهم الظابط وقال في حالة معرفة أي شي سيتم الاتصال بكم على الفور .

قررت حور تأجيل سافرها لحين الاطمئنان على فيدان، فهم كانوا على أمل أن تكون على قيد الحياة .

*****

ـ ولكن يا أبي أنا لا أريد أن أرتدي الحجاب ، لا زلت صغيرة

ـ لا يا فريدة، لم تعودي كذلك ، كل بنات العائلة ارتدته، لما لا ترتديه أنتِ أيضا؟

ـ هل كبرت للحد الذي يجعلني أسافر مع صديقاتي بدون مرافقتكم ؟

ـ بالطبع لا، أنتِ ما زلت صغيرة على تلك الأمور ، ومجتمعنا يرفض هذا

ـ ما هذه الازدواجية يا أبي؟ كيف أكون صغيرة في أمور ما، وكبيرة في أمور أخرى ، وما دخل المجتمع فيما أرغب؟؟ .

ـ لست مقتنعة بهذا الكلام يا أبي ، أنت لا تصلي، ولا أخبرتني في يوم أن أصلي

رغم أنه واجب عليك أن تصلي فروضك وأن تحثني على الصلاه أكثر من الحجاب ، لأني هكذا سأرتدي الحجاب من أجل المجتمع .

ـ أنا لا أملك الوقت الكافي للمناقشة، وأنتِ تملكين متسع من الوقت ، هذا قراري لا يوجد مجال للمناقشة، نفذيه وإلا لن تري الشارع مرة أخرى .

دخلت فريدة غرفتها، جلست على سريرها ممسكة بطرحة والدتها تبكي وتبكي، حاولت تجربتها أمام المرآة، ولكن لم يعجبها الوضع، بكت حتى النوم ...

*****

العمارة في حالة حزن على نسائها الجميلات

تتجمع نساء العمارة، ولكن أرواحهن تركتهن وذهبت مع فيدان، يصبرن بعضهن البعض ولكن بلا أمل ،لم تستطيع واحدة منهن مواصلة حياتها بشكل طبيعي

فكيف لهن ذلك وجزء من روحهن في جسد صديقتهن العزيزة فيدان ، هل شعرت في مرة أنك تتألم لوجع من تحب أكثر منه ، حالة من القلق و الفقدان سيطرت عليهن ، يحاولن تهوين الوضع على أنفسهن، ولكن بلا جدوى ، تشعر فيروز أنها فقدت أحد من بناتها ، كانت تتألم كثيرا ولكن دون أن تظهر هذا لهم ، فاتن كانت تشعر بالقلق الشديد على طفلتها المتمردة ، ليلى تحاول أن تهون الأمر عليهن، وكانت تحاول إقناع نفسها وإقناعهن بأنها ستعود في يوم ما، هي فقط تريد قليل من الراحة ،كانت حور هي من تتابع الإجراءات ،لأنها تعلم جيدا إذا تم العثور على فيدان سيتم الاتصال بزوجها، وهي لا تريد أن تتعامل معه ، لم تستطع أسمهان تخفيف الأمر على نفسها، كانت تبكي في كل وقت ولا تريد الحديث في أي شيء، كانت تريد فقط أن تجد صديقتها و تجلس معها .

*****

ـ من فضلك يا صالح لا تتحدث مع فريدة مرة أخرى في موضوع ارتدائها للحجاب ، لا أريدها أن تشعر تجاهنا بشعور سيء ، وبالأخص في هذه الفتره، نحن جميعا لا نفكر في شئ سوا فيدان فلا تزيد الطين بلة

ـ وما دخل فيدان في موضع ارتدائها للحجاب

ـ جميعا نشعر بالسوء تجاه هذا الموضوع ، وهي كانت تحب فيدان كثيرا

ـ لن أغلق الموضوع ولكن سيكون مؤجل إلى أن نطمئن على فيدان وتمر هذه الفترة بسلام .

ـ إن شاء الله

*****

الإجبار ....دائما كان سلاحهم الإجبار ....

الإجبار على ارتداء ما لانحب تحت عنوان" نحن نعلم مصلحتك جيدا "

الإجبار في تعليم شيء لا نود أن ندرسه

الإجبار حتى في الحياة ، حياة نحن لا نتمناها يوما

حتى أجبرونا على الموت للتخلص من كل هذا .

في حدود الساعة السابعة مساءا ..

نساء العمارة متجمعات في منزل مدام فيروز ، جميعهن في حالة من الذعر والقلق لأن حور تتصل بوكيل النيابة لمعرفة هل من جديد ؟ ، ضربات قلب حور تكاد أن تصرخ معلنة أنه جاء موعد مواجهة شيء لم يخطر على بالهم في يوم ، رد عليها وكادت أنفاسها تعلن انقطاعها.

ـ وجدنا جثة في شاطئ العجمي ونريد من أحدكم أن يأتي ويتعرف عليها .

ـ حسنا سأكون عندك في خلال ساعة

أغلقت الهاتف وهي تحاول تجميع ما تبقى منها ، تشعر بدوار شديد ولكن هذا ليس وقت الانهيار يجب أن تتماسك .

أخبرتهم بما حدث وقررت الذهاب هي وليلى للتعرف على الجثة، بينما بقيت باقي النساء ينتظرن في المنزل لحين عودتهن بالأخبار .

لم تشهد العمارة مثل هذا الموقف من قبل ، حالة لا نستطيع تحديدها، هل رعب؟ أم فزع من فقدان شخص تتحدث معه كل يوم ؟ أم أنهم سيفقدن جزء كبير من روحهن معها

تركتهن ورحلت بعيد عنهن جميعا، فهي لم تكن تستطيع أن تتحمل هذا المسخ ، كيف لها أن تتحمل كل ليلة من الضرب والاغتصاب والتعنيف والاتهام بالتقصير والبرود الجنسي ، كان هو العامل الأساسي وراء انتحارها ، لم يرحمها مثلما فعل أهلها ، كنا آخر أمل بالنسبة لها، ولكنه قام بطعنها بدم بارد، ومنعها من التواصل معنا أو حتى معرفتنا مرة أخرى

أغرقت جسدها الهزيل في أحضان البحر الغدار

أعتقد أنه ستصبح هناك عروس للبحر جديدة ..

بعد العديد والعديد من الإجراءات، وبعد التأكد من أنه انتحار وليس قتل عن طريق العمد ،أخرجته أسمهان من البناية ورفضت أن يبقى ليوم واحد في عمارتها الجميلة ، كانت تريد أن تنتقم لها ولو بالقليل حتى تهدأ روحها .

تقول والدة فيدان .....

رفضت أن أجعلها تعيش الحياة التي تريد.. كسرت في روحها شيء لا يمكن إصلاحه أو ترميمه... ياليتها تمردت على الأعراف وأخذت ما تريد رغما عن أنفي .

الآن أبكي و أنا لا أستطيع أن أستعيدها من الموت.. الموت يقف كالجبل بيني وبينها إلى الأبد.. أراها في أحلامي تقف بعيدة لا تريد محادثتي

أرى في عينيها حسرة وانكسار على كل الليالي التي عاشتها مع هذا الرجل رغما عنها

مارست سلطتي ، حتى كرهتني وعشقت الموت ..

*****

فارقتنا الضحكة الطيبة ، لم تعد البناية مثل السابق، ولا حتى تلك الأمسيات، فهناك شيء كبير ينقصها ، نعم نجتمع يوميا للاحتماء في أحضان بعضنا البعض

نستمع إلى الموسيقى، ولكن أصبحت الألحان تبكي ،نحتسي القهوة ولكن أصبحت مرة أكثر من اللازم ،كأن الجدران تبكي ، السماء ملبدة بالدموع ، قلوبنا تحترق ، وكم هائل من الأسئلة ،أحيانا نبكي ، أحيانا نتذكر الأمسيات الهادئة ، أحيانا يأتي الصمت معلنًا أنه لا مجال لشيء، فلن يعود شيء كالسابق ...

يقول سيدنا علي أبى الحسين :

"فقد الأحبة غربة"

إلى أن قررن أن يتم وضع كل صورهن على روف البناية ، يعلمن جيدا أنها لن تأتي مرة اخرى ولكن على الأقل ينظرن إليها عبر الصور ..

أعتقد أنه على الإنسان أن يقدس كل لحظة في حياته وأن يقوم بأخذ صورة تذكارية معها لمثل هذه المواقف

*****

الفصل السادس

" امرأة في سن الأربعين "

(فلاش باك)

مدام فيروز ...

امرأة تملك من الخبرة خمس وأربعون عاما

كانت متزوجة من رجل قلبه كالحجر، لا يعرف للحنية طريق ، لا يطبق شرع الله في أي شيء إلا في التعدد

" مثنى وثلاث و رباع " هكذا كان الدين عنده

بعض رجال الدين يرون أن حرف "و" جمع ، جمع الاثنان والثلاث والأربع هو التسعة

وهناك من يقول أنه حدد لشخص معين وهو رسولنا الكريم لتوصيل رسالة ما .

ولكن الحقيقة ...

هذه الآية تطبق عندما يطبق العدل، ولا تغصب عليها المرأة، فأن شاءت تطلقت أو انفصلت بكل رقي و احترام، ولكن هذا لا يطبق في مجتمعنا ..

مقتنعة أن الله كما نعرفه، أن الله لا يحتاج منا سوا أن نبحث عنه في داخلنا ..

كان لديها ثلاث بنات "حفصة ، دهب ،غنوة" ، ككل النساء الشرقيات كانت ترفض الطلاق دائما لأن لديها أطفال، أو بالأخص بنات ، كيف لها أن تكون أنانية إلى هذا الحد للتخلص من حياة مليئة بالضرب والإهانه والخيانة والزواج من أخرى؟

كانت تعتقد أن هذه هي البيئة المناسبة لتربية البنات

" ظل راجل ولا ظل حيطة "

أما أنا أقول ظل حائط وظل دراستي وظل مالي وظل ثقافتي وعقلي أفضل من ظل عشيرة من الرجال

"الرجل لا يحب المرأة الضعيفة ولكن يتزوج منها، ويعشق المرأة القوية ولكن لا يتزوج منها"

الإنسان القوي يظهر قوته على القوي ولكن إذا كان ضعيف يظهر قوته على الأضعف منه ليشعر بقوته.

دعوني أخبركم أكثر عن مدام فيروز ....

تزوجت وهي في الثامنة عشر من عمرها، أنجبت أول طفلة وهي في عمر التاسعة عشر وكانت تدعى "حفصة"

لم يكن زوجها خليل مرحب بها لأنها فتاة وليست ذكر.

بدأت الاعتداءات الجسدية تبدأ منذ ذلك الحين.

بعد عامين وضعت مولودة أخرى تدعى "دهب"

زادت المشاكل كثيرا ، زادت الاعتداءات على الأم والفتيات، ولكن ما كان باليد حيلة، رفض أن يصرف عليهم، فقررت مدام فيروز استغلال موهبتها في الطبخ، وكانت تحاول تعوضيهم عن كل ما فقدوه ..

بعدها بحاولي خمس سنوات حدث حمل عن طريق الخطأ، ووضعت البطلة الثالثة " غنوة"

ظلت حوالي عشر سنوات تحاول الحفاظ على منزلها من أجل صغرها ولكن بلا جدوى.

تحملت عدم قدومه إلى المنزل حتى ساعات متأخرة جدا من الليل وهو ثمل لا يعلم أين طريق الباب، تحملت من الضرب والإهانة ما لم يستطيع أحد تحمله، تحملت النزوات التي كان يقيمها ..إلى أن تزوج عليها وهجرهم نهائيا ، لم يكن يرسل إليهم المال ولا كأنه أنجب أطفال من صلبه... مات خليل مقتول على يد زوجته الأخرى التى رآها تخونه على فراش الزوجية ،حاولت هي وعشيقها تهدئة الموقف، ولكن خلال المحاولات لكتم نفسه حتى لا يصرخ جعلته يلفظ أنفاسه الأخيرة .....تغيرت كثيرا مدام فيروز وتغير الكثير والكثير من طريقة تفكيرها ...

ـ علمت أن تربية الأطفال في بيئة نفسية صحية بعيدا عن المشاحانات والضرب والإهانة أفضل من تربيتهم بين أبوين لا يحترمون بعضهم البعض.

ـ علمت أن من سيأتي ليتقدم لخطبة بناتها ليس من الضروري أن ينظر إليها نظرة سيئة لأن زوجها هجرها ، عوضها الله وعوض بناتها بأزواج يعلمون معنى المودة والرحمة

ـ علمت أن لا أحد سيعلم حجم المعاناة التي تخوضيها، فمن الأفضل أن تعيش حياتها كما تريد هي، لا كما يريد الناس ....تزوجت حفصة من زميلها في الجامعة وانتقلت للعيش معه في الإمارات، أما دهب ذهبت للعمل في بلاد السحر والجمال دهب

أما عن غنوة فانتقلت مع زوجها للعيش معه في الغردقة،وبقيت هنا مدام فيروز معنا في بيتها الراقي المليئ بالحب والاحتواء تتجمع هي وبناتها بين الحين والآخر، أو تذهب إليهم بين فترة وأخرى ،هي لا تريد أي شيء في الدنيا غير أن تعيش بناتها الثلاثة في سعادة وأمان بالطريقة التي يحبونها ، وهي الأخرى تعوض ما فاتها في حياتها ، تعرفنا عليها عندما انتقلت

إلى هنا بعد أن مات زوجها ، كانت أسمهان في عامها السادس عشر، ولا يوجد في العمارة سوى أسمهان و فاتن وزوجها، حتى أنه لازال والديها على قيد الحياة ، كان خبر موتهما كالصاعقة عليهم، ربتها مدام فيروز مع بناتها واحتوتها فاتن كأختها الكبرى ، إلى أن رحلت كلا من " حفصة ، دهب ، وغرام " في عالمهم ويأتون بين حين و آخر ، عوضهم الله بعدهم بليلى وزوجها مالك، ثم أتت حور، ثم فيدان وفاروق ، تعرفوا جميعا على عم إسحاق قبل عام من وفاة فيدان في قوته المتواضعة في أحد الليالي القليلة التي تنزهنا فيها سويا ، لم يتزوج أبدا لأنه كان يريد أن يتزوج عن حب، ويقول أنا لم أصادف الحب يوما ، يبلغ من العمر خمسة وستون عاما ، كان صديق فيروز في كل أوقات الحزن والفرح ، منذ لقائهم وهم لم يفترقوا أبدا ، الصداقة أهم بكثير من الحب في نظرهم ، عوضها الله بصديقها إسحاق وبنا نحن نساء العمارة بعد معاناة طويلة سافرت إلى بنتها دهب بعد موت فيدان ، تشعر أنها فقدت بنت من بناتها العشرة، نشتاق لها كثيرا في تجماعتنا، والروف وجدران البيت تشتاق إليها ، يعلمون جيدا أنها ستعود لهم بمزيد من القوة و الاحتواء

*****

الفصل السابع

" فيلا 70 "

من أنت ؟حسنا ، سأخبرك عني :

لا أحب القيود ، أعشق الحرية حد الموت

أريد التحليق عاليا بعيدا عن قيود أبي ووهم العادات، ذوقي غير مستقر في الأغاني ، مثل مزاجي تماما،أجيد الرقص ، فالرقص بالنسبة لي هو الحياة، أريد أن أتعلم جميع الرقصات و أن أرقص على كل الأغنيات، أركز جيدا على كل التفاصيل كأنني أبحث عن الكمال، أو بالمعنى الأوضح أبحث عن اكتمال نقصي.

مراهقة مثلي بالطبع تهوى السفر ، إنه يجري بدمائي، أحيانا أشعر أنني أريد أن أكون صديقة لكل من هم على وجه الأرض، بما في ذلك الشجر والحيوانات والمياه، وحتى الأشياء التي لم يتم اكتشافها بعد.. وأحيانا أخرى أشعر أنني لا أريد سوى أن أمكث في سريري، لا أريد محادثة أحد، فقط أريد أن أستمع إلى بعض الموسيقى اللائقة بهذه العزلة الهادئة.. أحب كل ما له علاقة بالرسامين والموسيقى.. أحب التمرد وأعشق من يشبهني، أفكر كثيرا ماذا أريد أن أصبح؟ " إنه السفر يروق لي كثيرًا، فما رأيك عزيزتي أن تكوني رحالة؟ ولكن كيف؟ فأهلي يمنعوني حتى من المبيت خارج المنزل، بحجة الخوف ، أو راقصة، فأنا أجيد الرقص الشرقي كثيرًا .

يا إلهي لقد نسيت أنني سأجلب العارإلى أسرتي إذا فكرت حتى في هذا الأمر ، فالرقص الشرقي من وجهة نظرهم أنه عار، ومن تعمل به فهي بالحتم عاهرة.

أريد أن أصبح كاتبة، لأنني واثقة أنني سأحصل على كل ما أريد ، أريد تعليم النساء كيفية حصولهم على حقوقهم"

أريد أن أكون الكثير والكثير ، سأصبح يوما ما أريد مهما طالت الحرب ومهما كثرت المعارك ..أنا فريدة، وهذه هي حكايتي .

أبي و أمي من السكان الأصليين للاسكندرية ، كان أبي يعمل بالدكان المجاور لمنزل والدتي ، تعرفوا على بعضهم البعض عن طريق بعض المقابلات السرية في كازينو الشاطبي ، كانت جدتي رافضة تلك العلاقة، لأن أبي لم يكمل تعليمه و أمي كانت طالبة في الجامعة، ولكن أصرت أمي عليه، وتم العرس ،يحبها أبي كثيرا ولا يستطيع أن يرفض لها طلب رغم الفارق الثقافي الذي بينهما ، لكن أراهم سعداء مع بعضهم البعض.

أنجبتني أمي بعد سنة واحدة من الزواج، وبعدها بسنتين أنجبت أخي فجر ...

*****

أصبح كل شيء باهت بعد رحيل فيدان إلى السماء وهروب حور إلى بلدها الثانية للحفاظ على مولودها ، وسفر معشوقتنا فيروز إلى بلاد السحر والجمال

نعم نجتمع ولكن هناك شيء كبير ناقص، سفر أسمهان المستمر إلى القاهرة ، انشغال ليلى معظم الوقت مع كهرمان ، كل ذلك أرعبني كثيرا ، أنا أحبهم جدا ولا أستطيع تخيل كل هذا التغيير المفاجئ ، ما كان يهون على الأمر ان أمي أصبحت قريبة لي أكثر من أي وقت مضى ، أعتقد أن هذا التطور حدث بعد موت فيدان، وبعد تلك الوصية التي تركتها .

بدأت أول نسمات الشتاء بالحلول، فأصبح بإمكاننا المكوث على روف البناية في العصر، تجمعنا في هذا اليوم وكالعادة نتبادل أطراف الحديث، أشعر بكياني ومكانتي عندما أتحدث مع ليلى ، تفهمني كثيرا وتقدم النصيحة بكل شفافية وحب ، بدأت أشعر بذاتي أكثر عندما أصبحت أمي قريبة مني وتدافع عني أمام أبي ، ساءت كثيرا الأوضاع بيننا، كل هذا بسبب رفضي لارتداء الحجاب ورفض أمي إجباري على شيء لا أحبه ، لم أعد أريد التحدث معه ولو على سبيل السلام حتى، كان يعامل أخي فجر بكل حب واحتواء و ينفذ له جميع رغباته ، مع أننا نفعل نفس الشيء أنا وفجر، ولكن طالما كنت أنثى، فيجب عليكي أن تموتي بالحياة، ولكن أنا لم أفعل هذا أبدا، سأحصل على ما أريد

كنت أقول دائما " الحرية لا تؤخذ، الحرية تنزع"

وها أنا هنا انتزعها منه ومن مجتمعه وعاداته وتقاليده .

أصبحت أشرب القهوة ، لو كانت القهوة إنسان لكنت احتضنتها ، تشعرني بالكثير من الاحتواء ..أصبحت أعشق الأغاني القديمة ، أستمع إليها فتسافر روحي إلى مكان آخر ...

أنا أيضا أصبحت أختار لهم الأغنيات ...اخترت لهم أغنية للرائعة وردة ..

" يا حبيبي كنت واحشني من غير ما أشوفك وتشوفني

والقدر الحلو أهو جابني وجابك علشان تقابلني "

كنت أجيد الرقص على هذه الاغنية الرائعة

" ولنا في الرقص حياة "

*****

وفي بداية فصل الشتاء الرائع يجب علينا أن لا نفوت السير برفقة الأصدقاء في هذا الجو الممتع، نحتسي عصير الرمان ، نتجازب أطراف الحديث وجدت يافطة لتعليم التانجو، أخيرا وجدت مكان أحلامي ، أعلم أنني سأواجه بعض المشاكل، ولكن سيهون الأمر وسأحصل على ما أريد ، فأنا فتاة تعلم جيدا كيف تحصل على ما تريد ، ولكن علي ترتيب أفكاري وتنظيم الوقت بين الدراسة والرقص، وبعض من الهوايات كالقراءة وغيرها.

يقول أحمد خالد توفيق :" الحل الوحيد للمشكلات النفسية هو : أن لا تكون عاطلا ، لا تكن وحيدا "

هكذا كنت أواجه المشكلات دوما .

لكلا منا طريقة يحصل بها على التقدير ، هناك من يحصل عليها عن طريق الأشخاص ، وهناك من يحصل عليها بمساعدة الآخرين ، هناك من يحصل على تقديره عن طريق الخير، أما أنا أحصل عليها عن طريق نجاحي ، لا أريد أن أتزوج إلا إذا وجدت شريك حياة جدير بي، وأنا أيضا أكون جديرة به ، أريد تأسيس أسرة كأسرة ليلى الجميلة ، أعلم أنها حصلت على ما تريد بعد معاناة كبيرة ، ولكن بفضل تلك المعاناة أصبحت تلك الجميلة التي يتمنى كل من يراها أن يكون مثلها ،فهي كانت مثلي الأعلى .

انتهزت جلساتنا النسائية ولعبتها بذكاء ، رتبت كل شيء ليكون الأمر في صالحي، رتبت جميع الإجابات المطلوبة حتى لا يكون هناك مجال من الرفض من قبل أمي، وإذا وجدنا رفض فأنا أعلم أن صديقات أمي الجميلات سيقوموا بإقناعها

وعلى ألحان الموسيقى الهادئة جهزت لنسائنا الكرام القهوة ثم بدأت حديثي معهم

فريدة:

ـ هل سمعتم عن " فيلا 70 "؟

ليلى:

ـ لا لم أسمع عنه من قبل ، ما هذا ؟

فريدة:

ـ مكان رائع لتعليم الرقص ، أريد أن أتعلم التانجو، وأخيرا وجدت مكان أحلامي .

ليلى:

ـ رائع جدا ، أين مكانه بالظبط ؟

فاتن:

ـ ما هو الرائع يا ليلى ؟ إنها تدرس .

فريدة:

ـ لا تقلقي يا أمي بشأن دراستي ، أنا جهزت جدول كامل بالمواعيد، وأريد منك فقط أن تطلعي عليه ، أما بالنسبه لمكانه فهو يقع في شارع سبورت الدلتا .

ليلى:

ـ اريد منك أن تسأليهم هل يوجد تدريب للأطفال ، ستذهب كهرمان معك .

قالت فريدة بفرح شديد:

ـ حقا ؟

ليلى:

ـ نعم بالطبع ، كهرمان تحب التانجو كثيرا، وستكون سعيدة جدا إذا ذهبت معك،

ثم أكملت أريدك يا فاتن على انفراد ، قامت ليلى و تبعتها فاتن، ثم قالت لها:

ـ أريد منك يا فاتن أن تعلمي أن هذا الجيل مختلف تماما عن ما تربينا عليه ، ثم أكملت: سيدنا علي بن أبي طالب كان يقول " لا تربوا أولادكم كما رباكم آباؤكم ، فقد خلقوا لزمان غير زمانكم " و أعتقد أنه من الجيد أن طفلتك تحب تعلم أشياء جديدة، وأنها لا تريد الارتباط في هذا السن مثل باقي أقارنها

ـ أعلم يا ليلى، ولكن أنتِ تعلمين جيدا تحكمات أبيها ، وأنه لا يحب تلك الأمور .

ـ نعم أعلم، مثلما أعلم جيدا قدرتك المزهلة في إقناعه.. ضحكت فاتن في حياء ثم قالت:

ـ لست بقليلة أنتِ ، حسنا ستذهب، ولكن يجب أن تكون كهرمان معها

ـ بالطبع لا تقلقي..انتصرت مرة أخرى تلك المشاكسة الصغيرة بذكائها الواضح منذ نعومة أظافرها...تقول أوبرا وينفري

" أنتِ من يراها ، وليس الناس ، انظري لذاتك بفخر ولا تضعيها حيث لا تستحق "

****

الفصل الثامن

" أم روح حلوة "

كم قاسيت وكم عانيت في هذا المجتمع الذي لا يرحم أي اختلاف، سواء كان فكري أو معتقدي أو حتى مظهري ،ليالي من الوحدة الكئيبة أبكي فيها على وسادتي ، ليالي من المعاناة التي لا يعلم عنها أحد غير الله ، نعم كان هناك من يدعمني وهي والدتي العظيمة التي لم تتركني أبدا، بطلة من بطلات حياتي، سألتنى ليلى هل فكرتي في الانتحار من قبل؟كانت إجابتي نعم، ولكن ليس لمظهري، كان هناك عوامل أخرى أدت إلى هذا التفكير، فأنا على كل حال متقبلة ذاتي، وفخورة بذاتي كثيرا ، لا يهم ما تعرضت له، المهم بالنسبه لي أني أعلم جيدا من أكون ، أعلم قلبي جيدا، فهو أفضل من كل هؤلاء المختلين الذين يحكمون على شخص من مظهره .

أنا إسراء أحمد وهذه هي رسالتي ..

" بعدك أنت كل شيء كئيب ..... كل ما أمشي بتفكرني بيه ، فيكي مني كل شيء غريب زي ليل البرد ما بيمشي حالي مش هممني، لو تكوني غايبة كل شيء سايبني، لو تكوني سايبة "

كانت أغنيات هذه الليلة حزينة جدا ، بكين جميعا على كل الغائبين ، ولكن لا يملكون شيء غير الدعاء لصديقتهن التي سافرت في رحلة طويلة مع الموت ، والدعاء لتلك التي تحمل بين أحشائها طفل جديد قادم للحياة ، والدعاء لمن فقدت بنت من بناتها ، والدعاء أيضا لمن

تمتلك قلب كبير بحجم الكون ، اقترحت فريدة أن يتصلوا بهن جميعا للاطمئنان عليهم ، فورا التقطت ليلى الهاتف واتصلت بمدام فيروز وقالت لها بلهجة مليئة بالحزن:

ـ اشتقنا لك كثيرا ، ألا تشتاقين لنا ؟

ـ بالطبع اشتقت لكن كثيرا ، سأعود خلال يومين

ليلى في سعادة عارمة:

ـ سأنتظرك بفراغ الصبر، لا تتأخرين أرجوكي

ـ حسنا يا عزيزتي لا تقلقي .

أغلقت معها الخط واتصلت فاتن بأسمهان لتطمئن على أحوالها ، أخبرتها أن الأمور تسير على ما يرام، ولكن تشعر بحزن شديد لعدم مقدرتها على العودة، فهناك الكثير من الأشياء عليها إنجازها، فاقترحت ليلى أن يذهبن لها جميعهن في نهاية الأسبوع ما جعل أسمهان تشعر أنها في حال أفضل مما سبق، وأغلقت الهاتف وهي تشعر بالقليل من السعادة ، ثم اتصلن بصديقتهن البعيدة جدا مكالمة فيديو ، لم تكن بفكرة جيدة، لأن حور ظلت تبكي على كل شيء ، على فراق فيدان وفراق صديقاتها العزيزات وعلى المشاكل التي واجهتها مع أمها بسبب فعلتها ، لم يكن يعلم أحد السر الكامن بين حور و ليلى، و كانت لا تعلم كيف ستواجهم ، كانت ليلة حزينة من ضمن لياليهم التي أصبحت تشبه بعضها البعض ، أغلقن معها و أكملن سهرتهن الحزينة .

في نهاية الأسبوع ذهبن إلى صديقتهن الغالية أسمهان ، أوصلت ليلى كلا من فريدة وفاتن إلى بيت أسمهان وذهبت هي إلى منزل والديها، و اتفقت على لقائهن في المساء .

القاهرة ، وسط البلد ، الساعة الثالثة عصرا ....

حضن اللقاء بعد الغياب هو أجمل شيء بالتأكيد ، وصلت إلى بيتها المليئ بالذكريات، من هنا كان التمرد ،من هنا بدأ الوجع، ومن هنا أيضا بدأ النجاح

تقول ليلى دائما: افتخري بالحرب التي قمتي بخوضها، فهي حتما السبب في نجاحك ، لم تكره ليلى والديها أبدا ، ولكن كانت تكره الطريقة التي كانوا يستخدموها ، لذلك هي لم تكرر أخطاء والديها مع ابنتها كهرمان

كانت خير داعم لها دائما ، تعلمت هذا من أخوها جبريل .

ـ ما كل هذه الغيبة يا ليلى، ألا تشتاقين لوالدتك أبدًا ؟

ـ اشتقت لك كثيرا يا زهرة، ولكن أنتِ تعلمين جيدا ما مررت به في الأونة الأخيرة ، أعتذر منك .

ـ لا تعتذري يا ابنتي ، أنا أعلم جيدا أن مسئولياتك أصبحت اكبر من ذي قبل، لماذا لم يأتي مالك معك ؟

ـ العمل يا أمي يأخذ منه معظم وقته، سيأتي لزيارتكم عن قريب إن شاء الله

جاء صوت رجولي من بعيد مهلل فرحا.

ـ ليلى ابنتي الحبيبة وحفديتي الغالية أنا لا أصدق نفسي

ـ اشتقت لك كثيرا يا أبي ، كيف حالك ؟

ـ أنا بخير يا ابنتي ، كيف حالك أنتِ ؟

ـ في زحام من النعم والحمد لله ، أين أخي جبريل ؟

ـ سيكون هنا بعد نصف ساعة ، أريد منك طلب يا ليلى

ـ أمرا وطاعة يا أبي ، ماذا تريد ؟

ـ أريد منك أن تتحدثي معه في أمر الزواج .

ـ دعه وشأنه يا أبي ، إذا أراد هو الزواج سيتزوج لا تقلق، ولكن سأتحدث معه طالما أنت تريد.

ـ رضي الله عنك يا ابنتي ، هيا اذهبي أنتِ إلى غرفتك لترتاحي قليلا ، وأنا سألعب مع حفيدتي الغالية إلى أن يأتي أخاك ونتناول طعام الغداء سويا .

ـ حسنا

*****

أمضت ليلى يومها كله مع عائلتها ،أما فاتن وفريدة فظللن طوال النهار في منزل أسمهان يتنقلن من حديث إلى آخر، وأجلوا لقائهن ليوم آخر لأن ليلى كان لديها موعد مع صديقتها إسراء ، فهي لم تراها منذ فترة ، تحب الحديث معها كثيرا ، فهي تعلم كم عانت هذه الفتاة مصابة إسراء "بالشفة الأرنبية" هذا المرض نادر بعض الشيء، يصاب به واحد من كل سبعمائة ألف شخص في العالم، لم يتم اكتشاف السبب وراء هذا المرض إلى الآن

أول حالة تم اكتشافها في سنة ٥٠٠ قبل الميلاد

لم يكن من الأمراض الوراثية ..تتكون أسرتها من ثلاث بنات وذكر واحد، كان من يدعمها في بداية الرحلة هي والدتها، عندما سألتها ليلى متى بدأ نجاحك؟

ردت إسراء " لا يأتي النجاح من موقف أو على محض الصدفة ، النجاح مجموعة من العوامل التي تؤدي إلى هذا التحول "

*****

كافيه كاستيلو " مدينة نصر " الساعة التاسعة والنصف مساءا، ذهبت ليلى إلى إسراء ليتجاذبا أطراف الحديث ،تحدثت ليلى معها عن طفلتها الصغيرة التي تعرضت للتنمر من زميلة لها في المدرسة، وأخبرتها عن الأمر، وكيف لهذه الفتاة التي تتنمر على ابنتها هي الأخرى تتعرض للتنمر من الدرجة الأولي، ومن أقرب شخص، وهي والدتها، بينما وهن يتجاذبا أطراف الحديث دق هاتف ليلى ، إنه رقم غريب، من يكون يا ترى؟

ردت عليها المتصلة في تلعثم وإحراج

ـ مساء الخير ، مدام ليلى ؟

ـ مساء النور ، نعم أنا ، ما الأمر ؟

ـ أنا مدام عبير والدة أيتن ، أنا المرأة التي قابلتيها في مدرسة كهرمان و أعطيتها رقمك لأتصل بك لاحقا ..

ـ نعم أكيد أتذكرك ، ما الأمر ؟

ـ أريد أن أقابلك وأن أتحدث معك بخصوص أمر شخصي .

ـ بكل سرور ، أنا الآن في القاهرة، عندما أعود إلى الاسكندرية سأتصل عليك لنلتقي.

ـ حسنا ، شكرا جدا

ـ لا شكر على واجب ..

أغلقت المكالمة ونظرت إلى إسراء وقالت في حماس:

ـ هذه هي والدة الفتاه التي كنت أحدثك عنها منذ قليل ، جاء في عقلي فكرة، رأيك أن نقوم بعمل ندوة عن خطورة التنمر ..

ردت إسراء وهي في غاية الفرح.

ـ أوافقك جدا

ـ سأقوم بتجهيز كل شيء وأخبرك .

ـ حسنا .

أكملوا حديثهن وليلتهن، ثم عادت ليلى إلى المنزل لتجد جبريل في انتظارها على نار، ارتمت بين أحضانه ، هذا الحضن الذي كان ملاذ الأمان لها دائما ..

ظلوا يتحدثون طوال الليل عن كل شيء يخص حياتهم

سألها عن أصدقائها القدامى " غرام و روز "

لم تعد غرام إلى مصر من بعد هجرتها إلى الإمارات، والى الآن لم يعلموا أين ذهبت روز.

الحديث مع جبريل كان له نكهته الخاصه دائما.. جميل أن تجد في حياتك شخص يحبك بكل شيء فيك، يكون جزء من روحك .

*****

على الفور تم تنظيم الندوة في إحدى مكتبات مصر الجديدة، كانت ليلى تنظم الحفل بكل حماس ، تكره تضييع الوقت، تريد مساعدة كل من حولها دائما، وبالأخص النساء والأطفال ، استغرق التنظيم يومان فقط، فهي كانت على عجلة للرجوع إلى الاسكندرية للقاء والدة

أيتن ،كان من يساعدها في التحضير أسمهان وصديقها مسلم ، تعرفت كلا من ليلى وفاتن على صديق أسمهان واتفقوا على حضور الندوة جميعا، ثم العودة إلى الاسكندرية، وجاء يوم الندوة....بدأت ليلى الندوة بمقولة ل " إلهام مانع "

" الحقوق لا تتحقق إلا إذا طالبنا بها "

تعلم ليلى جيدا كم التنمر الذي تعرضت له إسراء في حياتها ، تعلم التعليقات المسيئة لها، وكان أكثر تعليق أغضب ليلى هؤلاء الأشخاص الذين يتهمون إسراء أنها تستخدم حالتها للشهره ة كان ردها: أن إسراء في كثير من الأحيان كانت تمنحها القوة و الأمل ، فتلك الفتاة عانت، ومازالت تعاني، ورغم كل ذلك فهي إلى الآن تخوض حربها بكل شجاعة وقوة ، تعطينا أمل في أن الحياة ليست مقتصرة على المظهر فحسب.

تعطينا أمل في تطوير ذاتنا ، تخبرنا برسائل غير مباشرة، أنا كل يوم أتقدم خطوة إلى الأمام، ماذا فعلوا هؤلاء المتنمرين في حياتهم إلى الآن ؟ فهي على الأقل تسعى لتصبح النسخة الأفضل على الإطلاق من نفسها رغم كل الصعوبات التي تواجهها، ثم أكملت:

حالة إسراء تذكرني ب فيلم " wonder"

يحكي الفيلم عن قصة الطفل أوغي، والذي يولد مشوها، حيث يشخص الأطباء إصابته بمتلازمة " تريتشر كوليز" وتعرض بعدها لسبع وعشرون عملية ، بينما إسراء أجرت إحدى عشر عملية ، كانت أول عملية تجريها وهي في عمر العشرة أيام ، آخر أربع عمليات كانت فاشلة.. وضعت التقويم لمدة ست سنوات استعدادا للعمليات القادمة ..في الحقيقة

هي تخوض حرب قوية وشرسة من جميع الاتجاهات، حتى هؤلاء المتنمرين لا يستطيعون حتى المرور بربع ما مرت به إسراء .

في نظري هي أعظم بكثير من كل هؤلاء الحاقدين ، تعطينا شراره من الأمل أكثر بكثير من كل المدعين

و أكملت حديثها عن التنمر، وكم هو من الأشياء الصعبة التي يمكن أن يتعرض لها الشخص، و بالأخص إن كان من الدرجات الأولى مثل الأهل، أو الأصدقاء ، ثم تقدمت إسراء لتعطينا بعض النصائح وكانت هي:

ـ لكل من وهبه الله مشكلة عضوية أو مظهرية أو جسدية ، ستقابل الكثير والكثير ، يقولون أن كل شيء يمر، هذه حقيقة مطلقة ولكن لا تجعله يمر مرور الكرام ، تعلم بكل شيء تمر به.

ـ جميعنا يمر بلحظات حزن ، المهم أن نتعلم

ـ لكل أسرة رزقت بطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة ، هذه أمانة ، وتربيته وتعليمه و اندماجه في المجتمع هو شيء إجباري وليس اختياري.

ـ ورسالتي الأخيرة لكم ، أعلم أن المتنمر ضحية، ولكن حاول أن لا تجعل أشخاص آخرين يصبحون ضحايا مثلك .

ـ لكل من يتعرض للتنمر سواء في المدرسة أو العمل أو حتى من الأصدقاء والأهل ، أرجو منك أن لا تفقد الأمل وتنهي حياتك ، أعلم كم هذا مؤلم، ولكن يجب عليك أن تجد الطريق لتتخطاه .

كانت من الندوات الرائعة التي قادتها ليلى على الإطلاق

وفتحت لنا أبواب جديدة للتفكير في النفس البشرية وبشكل أعمق ..

تقدم إليها جبريل واحتضنها بشدة وقال لها:

ـ دائما كنت أثق في نجاحك وحلمك منذ ندوتك الأولى، و الأشياء التي مررتي بها، كنت دائما أقول في داخلي ليلى قوية وتستطيع أن تتخطى، وها أنتِ اليوم هنا، وغدا للعالمية .

لك الفضل في كل حياتي ، لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدونك .

كانت سهرتهم اليوم مختلفة بعض الشيء ، ذهبوا إلى الحسين للاحتفال بأنهم يستطيعوا أن يتخطوا كل شيء ، وعلموا جيدا أن لكل شيء حكمة ما سنعلمها مع الوقت، وإن الآلالم يمكن أن تكون بداية لنجاح عظيم في انتظارك .

عادت ليلى إلى الاسكندرية مليئة بالحماس لمقابلة والدة أيتن، ومعرفة سبب اتصالها، وعاد معها نساء عمارتها .

*****

الفصل التاسع

" كيميت "

" 30 يوم "... الحب

الحب هو الأرض الخصبة لأي إنسان ، ولا يقتصر الحب هنا على ذكر وأنثى فحسب، بل على كل العلاقات الموجودة في حياتنا ، فيمكن للإنسان أن تتغير حياته لمجرد أنه وجد من يقدره حقا، وجد من يفهمه، الحب ليس بكلمة، أو كثرة لقاء، أو بإصدار الأوامر والغيرة الغير مبررة، ولا بالتحكمات لإظهار أن طرف أقوى من طرف ، المحب لا يخون ولا يمل ولا يرحل ، المحب يسعى جاهدا لإسعادك ، الحب ليس بمال ولا بجاهه، ولا بعدد المتابعين على الفيس بوك ، المحب لا يعلم لماذا يحب، لا يوجد شخصان متطابقان في الصفات و سمات الشخصيه على وجه الأرض ولكن هناك من يشبهك ، يشعر برغبة دائمة للتواجد معك ومحادثتك، والأهم من كل هذا ما يؤلمك ضعف يؤلمه ضعفين، حزنك بالنسبة له يكون بمثابة نهاية العالم، المحب يفعل أي شيء ليكون بجانبك في ليالي خوفك وحزنك قبل ليالي الفرح والسرور، كل شخص على وجه الأرض يستحق من يفعل لأجله، كل هذا وإن لم تجد فمن الأفضل أن تعيش حياتك وحيدا، فمن الأفضل أن لا تهين نفسك في علاقة متوترة، العمر لحظة ليس هناك وقت لافتعال المشكلات وانتهاز الفرص للهروب بعيدا عنك، أو من يملي عليك تصرفاتك ، سواء ذكر أو أنثى،فإنك حر تماما، فكل ما يتعلق بك ليس هناك وقت للتغير من أجل أحد ، من يطلب منك التغير فهو لن ولم يحبك أبدا حتى ولو تحت مظلة الخوف عليك.

أحيانا نخشى من البوح بحبنا خوفنا من خسارة الشخص.

هناك بعض البشر يعتبرون خسارة الصديق هي أشد خسارة على الإطلاق، لذلك قرر كلا من أسمهان ومسلم الحفاظ على تلك العلاقة بشتى الطرق

*****

" كيميت " وسط البلد، الساعة التاسعة مساءا

جالسة " أسمهان " مع" مسلم " يتجاذبون أطراف الحديث ، عادت إلى القاهرة بعد رجوعها إلى الاسكندرية بيومين، لأنها اشتاقت إليه كثيرا، فهو الوحيد من الرجال الذي تشعر معه بكل هذا الأمان والارتياح في الحديث، فهو صديقها المفضل على الإطلاق، مهما سافرت أو قابلت من الناس، يبقى هو الوحيد الذي لا تمل منه أبدا ..

*****

نظر لها وقلبه يكاد أن يقف بسبب دقاته التي ستعلن بعد قليل أنه على وشك أن يغشى عليه ، استجمع قواه ثم قال:

ـ أسمهان أنا بحبك ..

نظرت إليه أسمهان بفرح شديد، لا تعلم ماذا تقول، فقد دمعت عيناها من فرط الفرح.

ـ أعلم جيدا يا مسلم، وأنا أيضا أحبك جدا

فنظر لها وقال:

ـ أنا أحبك ، أريد أن أتزوج منك ، لا أريد أن نكون أصدقاء فقط ، أريدك أن تكوني لي كل شيء يا أسمهان.

ـ وأنا أيضا صدقني ، ولكن أنا أخشى أن أخسرك، أخاف أن أستيقظ في صباح أنتِ لست موجود فيه ، أنا أرتاح معك جدا وأخاف خسارتك كصديق.

ـ لا تخافي يا أسمهان، أنا لست كباقي الرجال، سيضيع عمرنا ونحن نحب بعضنا البعض، ولكن لا أحد يبوح ، الخوف سيسرق منا حبنا ، سنتخطى كل شيء معا،

لا تقلقي

ـ وإذا فشلنا؟

ـ لن يحدث هذا أبدا

اقترحت عليه.

ـ ما رأيك أن نرتبط لمدة ثلاثون يوما ، وإذا فشلنا نعود أصدقاء كأنه لم يحدث شيء

قال ضاحكا:

ـ تمزحين أنتِ ، تخيلت للحظة أننا في فيلم عربي قديم.

ـ هذا هو شرطي ، وإذا لم توافق سأسحب العرض

ـ لالا، أنا موافق

ـ إذا ، معك ورقة وقلم لنكتب الشروط

قال بتعجب:

ـ أيوجد أيضا شروط!

ـ أينعم ..

ـ هل يوجد عقد عمل مبدأي ههه؟

ـ لا يا خفيف الظل، لا يوجد

قال ساخرا وهو يرفع يده للسماء:

ـ حمدا لله، ثم أكمل:

سأفعل أي شيء لتكوني مطمئنة

كتبوا في الورقة:

1 ـ مشاكلنا بيننا ، لا أريد أحد أن يعرف عنا غير الحب والاحترام.

2 ـ لا يوجد نوم أبدا ونحن بيننا مشكلة.

3 ـ الصراحة في كل شيء، مهما كان الموقف صعب ، الصراحة أفضل من الهروب

4 ـ يكون لدينا وقت لبعضنا البعض يخصنا نحن فقط ، سواء في الخروج أو المكالمات

5 ـ احترام الخصوصية وتشجيع بعضنا البعض على العمل.

6 ـ الثقة بيننا، والأهم أن لا نخون الثقة.

7 ـ لا يوجد شيء بيننا يسمى أنا رجل وأنتِ امرأة، تحريم شيء علي وتحليله لنفسك مرفوض للطرفين.

8 ـ المناقشة في كل شيء، حتى في أدق التفاصيل

9 ـ نتعلم من المشاكل وتكون لنا عامل في زيادة الحب وليس العكس

10 ـ لا نفعل ما يضايقنا من بعضنا، وهذا هو الشيء الوحيد المسموح فيه بالتغيير

11 ـ و أهم شيء قرار الانفصال يكون واضح بالأسباب، ولا يوجد هروب من مواجهة الطرف الآخر.

ـ أتفق معك في كل الشروط، ولكن لماذا تعتقدين أنه سننفصل دائما وتنتظري هذا ؟

ـ يجب أن نتفق على كل شيء منذ البداية

ـ لن يحدث إلا الخير بيننا لا تقلقي ، تريدين مني أن أكتب شيء آخر ؟

ـ لا، نكتفي بهذا الآن

ـ أحبك جدا يا أسمهان

ـ وأنا أيضا أحبك جدا ، هيا لنذهب، ما رأيك؟

ـ تحت أمرك، سأوصلك إلى المنزل إذاً

ـ منذ متى وأنت توصلني ؟

ـ منذ اليوم، نحن أصبحنا مرتبطين الآن ، هل نسيتي ؟ حتى الحبر الورق لم يجف بعد.

ـ إنه وضع جديد بالنسبة لي ، أعتذر منك

ضحكوا، ثم نهضوا للذهاب، وظلوا يركضون في شوارع وسط البلد فرحًا، وعند باب البناية سألها مسلم:

ـ هل سأراكي غدا؟

ـ نتحدث ونتفق.

ـ هيا اذهبي الآن وأنا سأذهب غلى المنزل وأتصل بك.

ـ اتفقنا.

طبع قبلة على خدها، وركض خوفا من أن تضربه

ظلوا يتحدثون طوال الليل، وضحكات أسمهان وصلت حد السماء، اتفقوا على الذهاب إلى السينما في مساء اليوم التالي، وأن يجربوا أشياء لم يجربوها من قبل مع بعضهم البعض .

*****

الاسكندرية.. الساعة الواحدة والنصف ظهرا.. ذهبت ليلى للقاء مدام عبير وهي مفعمة بالحماس والطاقة ، تريد استغلال الوقت قبل عودة كهرمان من المدرسة

ـ لا تتخيلي كم أنا سعيدة للقائك مدام عبير، وأتمنى أن يكون ما ستقولينه خير.

ـ في الحقيقة يا أستاذة ليلى ...

قاطعتها ليلى:

ـ بلاش الشكليات دي أرجوكي ..

ـ عنيا حاضر، ثم أكملت:

ـ في الحقيقة دعيني أخبرك بكل صراحة أنني منذ لقائك وأنا افكر في كلامك، وعندما فكرت شعرت أن حديثك صحيح، وأريدك أن تساعديني

ـ أنا تحت أمرك ..

ـ شكرا لك، كنت أعلم جيدا أنك لن تردي سؤالي، أشعر في كثير من الأحيان أنني أُخرِج عصبيتي على ابنتي أيتن، وأعلم جيدا أن هذا خطأ كبيرمني ، وأشعر أحيانا أنها تريد أن تخرجني عن شعوري .

ـ لالا، مستحيل يا عبير تكون البنت متعمدة، أريد منك أن تجربين ما سأقوله لك، وستجدين أن كل الأمور أصبحت على ما يرام .

ـ سأفعل كل ما بوسعي حتى تصبح الأمور أفضل.

ـ الحل دائما موجود، لا عليك سوى أن تتعاملي مع طفلتك بأسلوب أفضل، أنتِ لا تتخيلين كيف يكون أثر الكلمة على نفسية الفرد.

ـ أعلم جيدا، ولكن ضغوط الحياة صعبة، وأحيانا أفقد أعصابي ولا أستطيع التحكم في شيء.

ـ أفهمك جيدا وأشعر بك وأعلم كم أن ضغوط الحياة صعبة في كثير من الأحيان، ولكن تذكري دائما أن طفلتك ليس لها ذنب في شيء.

ـ معك حق ..

ـ في أي وقت تشعرين أنك لست في حال جيد أرجو منك أن تتصلين بي ، وأريد منك أن تأتي لزيارتنا، ستشعرين بتحسن كبير، وسأعرفك على أصدقائي، هم نساء في غاية اللطافة.

ـ لا أعلم ماذا أقول لك ، شكرا لأنك تريدين مساعدتي، وأعتذر كثيرا منك على ذلك اليوم الذي قابلتك فيه .

ـ لا تعتذري، يحدث مثل هذه الأمور دائما ، ما رأيك أن نذهب إلى البنات في المدرسة، ونذهب في نزهة سويا إذا لم تكوني مرتبطة بشيء؟

ـ بالطبع، هيا بنا.

ـ ستكون فرصة جيدة جدا لنفسية أطفالنا .

ظلا يتحدثان إلى أن حان موعود خروج أطفالهم من المدرسة، ما أجمل أن يدرك الإنسان خطأه و يحاول تصليح الخراب بين أحبته ..

*****

القاهرة " مدينة نصر " سينما سيتي ستار.. الساعة السادسة والنصف مساءا ، يشاهدون فيلم رومانسي، ولاول مره ترتدي أسمهان فستان ، تعلم أنه موعد غرامي، لذلك كانت في كامل زينتها، بعد مشاهدة الفيلم ذهبوا لتناول العشاء، كان يقول مسلم " تناول الطعام مع من نحب نوع من أنواع الفرح بالنسبة له "

*****

ـ هل تعلمين أنني أراك بفستان لأول مرة ، كم أنتِ جميلة

احمرت وجنتيها، ثم قالت في خجل:

ـ شكرًا.

ـ العفو يا جميل ، أخبريني أين تحبين أن نذهب غدا ؟

ـ سوف أذهب إلى الاسكندرية غدا، اشتقت كثيرا إلى أصدقائي ، ستعود مدام فيروز غدا من السفر وأريد أن أستقبلها

ـ لا أريدك أن ترحلي.

ـ لن أتأخر، لا تقلق

ـ ما رأيك أن أوصلك غدا إلى الاسكندرية، وأقضي معك اليوم،وأتعرف على مدام فيروز ؟

قالت بفرح شديد:

ـ حقا؟

ـ طبعا أريد هذا.

ـ حسنا سنسافر غدا سويا إن شاء الله

في صباح اليوم التالي تحركوا باكرا إلى محطة القطار لكي يتمكنوا من قضاء اليوم كله سويا .

اتصلت أسمهان على ليلى لكي تخبرها أنها قادمة هي ومسلم إلى الاسكندرية، وأنه يريد التعرف على مدام فيروز وقضاء معهم بعض الوقت، طلبت منهم أن يتجمعوا باكرا في هذا اليوم لكي يستطيع أن يعود إلى القاهره في وقت باكر.

وصلوا إلى الاسكندرية لقضاء وقت لطيف على البحر، تعرفوا على عم أحمد، ذلك الرجل الطيب صاحب كشك الشاي الموجود أمام (جيلاتي عزة) وعلى ألحان عبد الحليم كانوا يحتسون الشاي مع عم أحمد على أغنية " بيع قلبك بيع ودك شوف الشاري مين ، شوف عهدي مين بعدي ح يصونه لك مين "

فتحت أسمهان فيديو لتسجيل هذه اللحظات السعيدة ، طلبوا البيتزا للغداء على البحر، فكان هذا من ضمن مخططاتهم للثلاثون يوما .

وعندما دقت الساعه الخامسة ذهبوا إلى روف البناية لاحتساء القهوة مع نساء العمارة

ستشعر بالسعادة عندما تجد من يحبك ويحب كل شيء تحبه، ستكون أبسط االأوقات هي بمثابة الحياة بالنسبة لك ، لا يهم أن نذهب لأغلى الأماكن لكي نشعر بالسعادة ، السعادة تكمن في طريقة نظرك للحياة

من يحبك حقا سيريد التعرف إلى عالمك، اختراق ذلك العالم لكسب قلوب من نحب هو بمثابة اعتذار للشخص عن كل الأيام الصعبة التي تمر على الفرد

جلسوا وتبادلوا أطراف الحديث بكل حب و احتواء على الألحان المتغيرة بين كل دقيقة و أخرى ..

نعم كان هذا اليوم يوم نساء تلك العمارة ، شعرن بشيء من الفرح ، كأن هذا اليوم أتى كرسالة اعتذار عن كل الأيام الصعبة الماضية ..

يا إلهي لقد سرقهم الوقت، إنها الثانية عشرة بعد منتصف الليل، فماذا على مسلم أن يفعل ..

حسنا لا داعي لكل تلك الدراما، فيجود في محطة الرمل العديد والعديد من الفنادق ، فورا اتصلت أسمهان على فندق " كريون " ذلك الفندق الذي تعشقه كثيرا، المتواجد في شارع أديب إسحاق ...

وفي صباح اليوم التالي قامت مدام فيروز بالاتصال على مسلم لتناول طعام الفطور معهم وبعد ذلك يمكنه أن يستعد للسفر ..

*****

على ألحان سيد درويش و كلمات أغنية بديع خيري " أهو ده اللي صار وادي اللي كان، ملكش حق ، ملكش حق تلوم عليا "

تنالوا طعام الفطور مع " مسلم " في حدود الساعة التاسعة صباحا

مدام فيروز:

ـ سعيدة جدا أنني تعرفت عليك ، أخبرني متى سنفرح بك أنت وأسمهان؟

أسمهان:

ـ ما هذا يا فيروز لا تحرجي الرجل.

مدام فيروز:

ـ والله المثل بيقول اخطب لبنتك ومتخطبش لابنك

تدخل مسلم:

ـ أريد منها فقط أن ترضى عني، وأنا على أتم الاستعدات أن أجلب أهلي إلى الاسكندرية و أطلبها منكم.

ليلى:

ـ يا سلام يا سلام ، هنيئا لك يا أسمهان ، أتمنى لكم حياة سعيدة

أسمهان :

ـ ربنا يقدم اللي فيه الخير ، أين فاتن وفريدة ؟

ليلى:

ـ سيتناولون الفطار مع صالح وفجر، ويأتين لشرب الشاي معنا

مسلم:

ـ سأقوم أنا وأحضر لكم القهوة

مدام فيروز:

ـ هل تجيد صنعها ؟

ردت أسمهان

ـ أفضل شخص يقوم بإعدادها، ولكن لا يوجد أفضل منك يا فوفا

مدام فيروز:

ـ تجيدي بيع الكلام يا فتاة، ولا أحمد موسى

انفجر مسلم من الضحك

أسمهان:

ـ بقى كده ، سأذهب إلى منزلي

مسلم:

ـ ما هذا ؟هل غضبتي؟ نحن نمزح معك.

أسمهان:

ـ وأنا أيضا أمزح معك ، أرجوك أحضر لي القهوة ، دماغي ستنفجر من الصداع

مسلم:

ـ حالا، أحلى قهوة لأحلى أسمهان

شيء رائع أن تجد من يهتم لحزنك حتى في أبسط الأمور ، أن يهتم بكل تفصيلة ، أن يسعى جاهدا لإسعادك .

نادت ليلى على أسمهان لكي تتحدث معها على انفراد قليلا

ليلى:

ـ أشعر أنك متوترة من أمر ما ، ما بك ؟

أسمهان:

ـ لا أعلم يا ليلى صدقيني.

ـ هل ضايقتك فيروز ؟

ـ لالا ، أنا اعلم جيدا أنها تمزح ، أنا فقط لا أريد أن أتسرع مع مسلم في تلك العلاقة

ـ أنا أعلم جيدا أنك في حيرة من أمرك ، ولا تريدين أن تخسري مسلم كصديق ، أريد أن أتحدث معك لاحقا بخصوص هذا الموضوع

ـ حسنا وأنا أيضا أريد أن أتحدث معك، هيا لنذهب للجلوس معهم حتى لا يغضبوا منا.

ضلوا يتحدثون إلى موعد القطار " مسلم " أوصلته ليلى و أسمهان ، ثم عادوا لاستئناف جلساتهم .

فاتن:

ـ أشعر أنه يحبك جدا ، لا تخافي منه يا أسمهان .

أسمهان:

ـ أنا لا أخاف منه ، أنا أخاف أن يحدث شيء سيء في يوم من الأيام

مدام فيروز :

ـ لا تخافي من شيء يا ابنتي، كل شيء مكتوب.

ليلى:

ـ ستكون الأمور على ما يرام يا أسمهان، لا تفكري إلا في كل شيء جيد ، وإن حدث شيء لا قدر الله فنحن هنا إلى جانبك ، لا تجعلي التوتر والخوف يقتل كل شيء في حياتك

أغلقت ليلى على الموضوع بطريقتها الخاصة ، حتى لا يتم تشويش عقل أسمهان .

ـ هل وصلت ؟

ـ نعم يا قمر وصلت منذ نصف ساعة

ـ حمدلله ع السلامة

ـ الله يسلمك ،هل خرجتي؟ أم ما زلتِ مع صديقاتك ؟

ـ نعم خرجت حالا.

ـ شكرا جدا يا أسمهان على هذا اليوم ، أصدقائك لطاف جدا

ـ سعيدة جدا أنك تعرفت عليهم

ـ متى ستأتين إلى القاهرة؟

ـ ماذا بك يا مسلم؟ رجعت للتو إلى الاسكندرية

ـ أرجوكي لا تتأخري علي.

ـ لا أستطيع

مهما حاولت أن تثبت لنفسك أنك شخص لا يحب الروتين وشخص متجدد كثيرا بطبعه حتى في علاقاتك، إلا أنه يوجد هناك شخص على الأقل لا تسري عليه تلك الحالة الدائمة التي تشعر بها .

تعرفت مدام عبير على أصدقاء ليلى ، أصبحت كلا من كهرمان و أيتن أصدقاء ، فرحت ليلى كثيرا بهذا الإنجاز العظيم

مر أسبوع و أسمهان في الاسكندرية ، كانت تتحجج كثيرا لكي لا تذهب إلى القاهرة، ولكن لم تكن تعلم لماذا، هل تهرب من التعلق بمسلم، أم أنها لا تريده ؟ ، كانت تعتقد أن كثرة رؤيتنا للشخص هو ما يعلقنا به، ولكن في الحقيقة ليس هناك علاقة، الحب حب حتى لولم نلتقي مرة أخرى، والكره كره حتى لو كنت أعيش أمام عينك ، لم تجد سبيل غير ليلى لتجد الحل معها، فاتصلت بها واتفقن على اللقاء خارج المنزل .

ـ ماذا بك يا أسمهان هل أنتِ على ما يرام ؟

ـ لا أعلم يا ليلى ماذا بي

ـ هل الأمر متعلق ب مسلم ؟

ـ نعم

ـ أخبريني ماذا هناك ، أريد أن أسمعك حتى ترتاحي

ـ لا أعلم، أشعر أنني خائفة ولا أريد أن أكمل معه

ـ هل أنتِ خائفة منه كشخص، أم أنك لا تريدينه في حياتك؟

ـ لا، أنا أريده في حياتي بالطبع، ولكن لا أريد أن أخسره

ـ لماذا الخوف يا أسمهان؟ لا تكوني هكذا حتى لا تتعقد الأمور بينكم، لا تصنعي حواجز من أوهام تفكيرك، هذا سيجعل العلاقة جحيم، أنا تحدثت معه، هو يحبك جدا، ونحن هنا من أجلك فلما كل هذا الخوف

ـ إنني أتهرب منه منذ أسبوع ، لا أريد أن أراه كثيرا حتى لا يتعلق قلبي أكثر، لا أريد المزيد من الذكريات معه.

ـ عليك أن تواجهي خوفك يا أسمهان حتى تتأكدي أن الذي يدور في رأسك ما هو إلا أواهم ، ما رأيك أن تذهبي إلى القاهرة؟

ـ سأذهب أكيد ، ولكن إذا حدث شيء سأحزن كثيرا

ـ ماذا سيحدث برأيك ؟

ـ يذهب بعيدا عني.

ـ ولماذا سيذهب عنك؟

ـ لا أعلم

ـ أنتِ تفكرين في أشياء لا تمت للواقع بصلة، اطردي كل هذه الأفكار اللعينة يا أسمهان

ـ سأحاول.

*****

اتصلت أسمهان ب مسلم و أخبرته أنها قادمة غدا إلى القاهرة ، فرح مسلم كثيرا و اتفق معها أن يذهبا إلى وسط البلد سويا .

في حدود الساعة السادسة مساءا يقف مسلم بمحطة القطار في رمسيس ممسكا في يده مجموعة من الزهور ينتظر قدوم أسمهان بفارغ الصبر .

ـ يا إلهي ما هذه المفاجأة السارة.

ـ اشتقت لك كثيرا يا أسمهان

ـ غمرته أسمهان بشدة و أخذت منه باقة الورد، وذهبوا إلى وسط البلد في المكان الذي اعترف فيه بحبه لها .

" كيميت " تعني الأرض الخصبة ، وكانت اسم مصر عند أجدادنا القدماء ، لكلا منا أرضه الخصبة التي يزدهر فيها ، فلا تزرع نفسك في أرض كل من أحببت ، إما أن تكون أرضهم خصبة فتزهر أنت، أو قاحلة فتذبل وتموت .

اتفقا على الذهاب لمعرض " أرتور " سويا ، لتجربة شيء جديد، فهم لم يحضروا أي معارض من قبل، وهذه هي المرة الأولى لهم .

ـ انظر يا مسلم كم رائعة الرسومات، أحببتها جميعا

ـ نعم، معك حق يا أسمهان، انظري إلى المجسمات المصنوعة من الكوتشينا، أشعر بالإبداع في كل أرجاء المكان.

ـ وأنا أيضا ، ما اسمه ؟

ـ هو ملقب بملك الكوتشينة

ـ هذا حقيقى فعلا ، سيوفقه الله في كل خطوة على هذا الإبداع

ـ اللهم آمين يا حبيبتي ، المهم ماذا سنفعل غدا

ـ ما رأيك نأخذ طعام الإفطار على النيل؟

ـ فكرة رائعة ، وبعد ذلك نذهب لنحتسي القهوة في أي مكان

ـ اتفقنا

يقول " نيكولا تسلا " أجمل ما في الحب أنه يجعل البشر أكثر أناقة و جاذبية

هذه هي الحقيقة ، الحب يجعلك أكثر إشراقًا ، مقبل على الحياة بشكل أكبر ، محب لذاتك و محب لكل شيء حولك

من يحبك حقا لا يمل منك ، يشعر دائما برغبة ملحة للقائك ، يحب الحديث معك ، يشاركك أدق لحظات حياته ، يخبرك دائما كم أنت تستحق هذا الحب .

كانوا يلتقون يوميا ، يتبادلون الأغاني والأشعار وحتى الكتب ، يتحدثون عن كل شيء يخص هذا العالم الكبير ، كانوا إضافة قوية لبعضهم البعض، أحيانا يأتي العوض على شكل شخص، وهم كانوا عوض بعضهم البعض ، كانوا يتعلقون ببعضهم البعض يوما بعد يوم ، كل شوارع القاهرة والاسكندرية عرفتهم ، أصبحوا أقرب بكثير من أي وقت مضى ، وبعد مرور الثلاثين يوما اتفقوا على أنهم سيكملون علاقتهم، وشجعت أسمهان فكرة الزواج .

قررت العودة إلى الاسكندرية لتخبر صديقاتها ، عندما ذهبت إلى الاسكندرية اتصلت به لكي تطمئنه عليها، ولكن لم تجد رد، ظلت تتصل مرارا ولكن بلا جدوى، إلى أن أغلق هاتفه نهائيا .

*****

" الفصل العاشر "

" الرقصة الأولى "

تجنبوا هؤلاء المتزمتين ، إنهم نوع بائس، مريض ، جنس، رعاع ينظرون بخبث إلى هذه الحياة وعينهم عين سوء على هذه الأرض، تجنبوهم ! أقدامهم ثقيلة و قلوبهم تختنق رطوبة ، لا يعرفون الرقص، فكيف للأرض أن تكون خفيفة بالنسبة لهذا النوع إذا ؟

فريدريك نيتشه

مر أسبوعين ولم يتصل بها، كاد عقلها أن يطير

ـ هل اتصلتي بأحد من أقاربه للاطمئنان عليه؟

ـ لا يا ليلى ، لا أعلم أي وسيلة اتصال بأحد من أقاربه، حتى أصدقائنا لا يعلموا عنه شيء.

ـ هل حدث أي مشكله بينكم ؟

ـ لا، لم يحدث أي شيء إطلاقا، حتى أننا اتفقنا على الزواج

ـ لا أعلم ماذا أقول لك، ولكن أنا أشعر أنه سيظهر قريبا، لا تتسرعي بالحكم عليه

ـ أي حكم يا ليلى ، اختفى بعد الاتفاق على الزواج ما تفسير هذا؟؟

ـ سنعلم ما حدث، كوني على يقين أن كل شيء سيكون على ما يرام

تقول إحداهن " أسوأ نومة ينامها الإنسان هي أول نومة ينامها بعد فقده لمن يحب ، حينها يغمض عينيه بعد بكاء طويل تنتهي به طاقته، ثم يستيقظ وهو لا يعلم كيف نام، ويظن أن كل شيء كان حلما مخيفا ، ثم يكتشف أنه لم يكن كذلك، وأن الحلم في الواقع حقيقة "

وفي الجلسات النسائية الهادئة أحست مدام فيروز بجرح أسمهان الذي لم تبح به، فقالت مازحة:

ـ تعالي يا أسمهان أقرأ لك الفنجان

ضحكت أسمهان ثم قالت:

ـ منذ متى وأنتِ تقومين بالعرض علي دائما، أنا من تطلب

ـ أشعر أني في مزاج جيد اليوم ، سأتزوج أنا وإسحاق

نظرن إليها جميعا في فرح وذهول

فاتن:

ـ متى؟ أخبريني ماذا حدث بالتفصيل

مدام فيروز:

ـ شعرت أنني بحاجة إلى شريك يكمل معي باقي حياتي كإسحاق ، عرض علي الأمر وأنا وافقت على الفور ، سنقوم فقط ببعض التجهيزات وأريد أن أخبر أولادي ، فرحن جميعا لها وقمن لاحتضانها وأطلقت فريدة زغروطة عالية

فقالت فيروز على استحياء :

ـ ماذا تفعلين أيتها المشاكسة؟ وقررت أن تغلق الموضوع لأنها تشعر بالإحراج الشديد، ثم قالت:

ـ هيا يا أسمهان اجلبي لي فنجانك

بعد تقليب الفنجان نظرت مدام الفيروز ثم قالت:

ـ ما هذا الحقد ! يوجد الكثير من الفتيات التي تغار منك

قالت أسمهان متنهدة:

ـ ولما الغيرة مني يا فوفا ؟ ثم أكملت على رأي المثل " حسدوا الغجر على ضل الشجر"

انفجرت فاتن ضاحكة وقالت:

ـ سأموت في مرة بسبب مزاحك يا أسمهان، أنتِ فتاة جميلة، وسيكون كل شيء على ما يرام.

ليلى:

ـ ليس من الضروري أن تكوني فتاة غير صالحة حتى يكرهك أحدهم، من الممكن أن يحسدوكي لأنهم لا يستطيعوا أن يصبحوا مثلك..

قاطعتهم فيروز:

ـ مهلا لحظة، أنا أرى " مسلم "

زادت ضربات قلب أسمهان

ـ ما به ؟

ـ أنتِ حزينة جدا بسبه ؟

قالت أسمهان:

ـ صح ، هل يوجد شيء آخر؟

ـ لا يوجد شيء آخر، ولكن ستتحدثون قريبا

ـ متى؟

ـ العلم عند الله يا ابنتي ، ستكون الأمور بخير لا تقلقي

تدخلت فريدة:

ـ يوجد عندي عرض تانجو ما رأيكم تأن تأتين معي

ليلى:

ـ بالطبع سنأتي معك، قولي لنا الموعد وسنحضر بالتأكيد .

كان العرض الأول لفريدة ، كانت متوتره كثيرا ، مزيج من القلق والفرح ، كانت تتمرن في كل وقت لتقدم أفضل ما عندها .

على فراشها تبكي ، جرح عميق في قلب أسمهان ، تسقط الدموع منها لتعلن الاستسلام،أرسلت له رسائل كثيرة تعاتبه على الجرح الذي تركه ، تلعن اللحظه التي وافقته على التقرب منها ، تتهمه بأبشع الاتهامات، تذكره بالقواعد والشروط التي وضعوها سويا، ولكن بلا جدوى، فهو لم يستقبل أي شيء من تلك الرسائل، ولا تعلم لماذا يفعل هكذا، تسأل نفسها كل يوم ما الخطأ الذي ارتكبته لكل هذا، فقط تريد أن يتجرأ و يواجهها .

الخيبات تجعلك تشعر معنى المنفي ، أفهم أن ينفى الإنسان عن وطنه، أهله و عشيرته ولكن أن ينفى الإنسان عن ذاته ؟أن تستيقظ يوما لتكتشف أنك تجردت من كل ما يمت لك بصلة ، ذلك هو المنفى الحقيقي .

يقول " مهند العتيبي " لهفة البداية ليست حب، لا يحب الإنسان بأسبوع أو شهر، لا يمكنك أن تحب البحر وأنت تقف على الشاطئ، يجب أن تغوص في أعماقه،تضربك أمواجه

، تضرب قدمك صخرة، وترى قاعه المظلم يغضب ، وبعدها فقط إما أن تحبه كله .. أو تكرهه كله، يبدأ الحب عندما ينتهي الحماس .

ليلى:

ـ حقا كنت رائعة يا فريدة ، تشبهين الفراشة

فريدة :

ـ شكرا لك، هذا بفضل دعمك لي ، ما رأيك يا أمي

فاتن:

ـ كنت رائعة يا جميلتي، مع أن والدك يفتعل الكثير من المشاكل بسبب حياتك الجديدة، ولكن كل شيء يهون لأجلك يا صغيرتي

ـ حماكي الله لي يا أمي، لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدون وجدوك

ليلى:

ـ هيا بنا لنذهب إلى المنزل، فيروز وأسمهان في انتظارنا منذ مدة .

تحتفلوا سويا بنجاح عرض فريدة، وبينما هم جالسين وجدوا مسلم أمامهم، وبعيون باكية وقدم مكسور، نهضن جميعا مسرعين نحوه، و ركضت أسمهان تحتضنه بشدة وتسأل في رعب:

ـ ماذا حدث لك ، هل أنت بخير ؟

ـ تعرضت لحادث كبير و انسرق هاتفي ولم أعلم كيف أصل إليك ، تعرضت للموت ولكن لم يهمني هذا، كل ما كان يقلقني هو حزنك، ولم أكن أعلم كيف أصل إليك أبدا حتى أنني

لا أتذكر رقم هاتفك لكي أتصل بك من أي رقم آخر ، أنا أريدك يا أسمهان، وأحبك جدا، وأعلم جيدا ما فكرتي به في كل هذه المدة

مدام فيروز:

ـ حمدلله على سلامتك يا بني ، تعال اجلس واستريح قليلا

ليلى:

ـ لماذا أتيت؟ أنت لست على ما يرام ، هذا خطر على صحتك

مسلم:

ـ لا أستطيع أن أغيب على أسمهان ، كل شيء يهون من أجلها .

بكت أسمهان من سوء ظنها به، وحمدت الله على أنه بخير .

وبعد أن تعافى مسلم نهائيا ، أحضر والديه وتقدم لنساء عمارتها، وحددوا موعد الزفاف و اتفقوا على أن يكون الفرح هنا على روف البناية ، وقرر كلا من إسحاق وفيروز إقامة عرسهم هم أيضا مع عرس أسمهان ومسلم

فورا بعثت رسالة ل حور تزف إليها خبر زواجها من " مسلم " و أخبرتها أنها لن تكتمل فرحتها إلا إذا حضرت، وأخبرتها أن العرس عرسين، ويجب أن تأتي

كانت حور قد وضعت مولودها " فخر " منذ أسبوعين فقط ، كانت متعبة كثيرا، حتى أنها لم تستطيع مكالمة ليلى وإخبارها ، ولكن فرحت كثيرا لخبر زفاف أسمهان وفيروز، وقررت تجهيز نفسها للعودة إلى القاهرة ولكن لحضور الزفاف فقط والعودة إلى أحضان الوطن، وقررت أيضا ترك المولود في اليونان مع أمها ، فهي لم تكن مستعدة لمواجهة أحد ...اتصلت

أسمهان بصديقتها " عزة حبيب " لتقوم بتزيين الروف وتجهيزه للزفاف، فهي لم تكن تثق في ذوق أحد غيرها ، قلوبهم ترقص فرحا ، وأخيرا دخلت الفرحة بينهم ، نعم كانت الفرحة ينقصها " فيدان " ولكن يعلمون جيدا أن روحها دائما حاضرة بينهن

وصلت حور من السفر قبلها بليلة واحدة، كان يبدو عليها علامات الإجهاد، ولكن كانت تقول المهم أن أكون بجانبها في مثل هذا اليوم ، حضرت فريدة بعض الرقصات والأغنيات لأنها تعلم جيدا ذوق أسمهان

مدام فيروز كانت في غاية الجمال والرقي ، كان زفاف هادئ لم يحضره غير المقربون فقط، يتبادلون الضحكات ويرقصون على الأغنيات ، كانت أجمل ليلة بالنسبة لهم جميعا بعد كم كبير من المعاناة ، لم تنتهي القصة بعد فهذه فقط البداية ..

*****

قبل أن تغلق الكتاب ...غيرت بعض الأسماء والأحداث في هذه الرواية منعا لإحراج أصحابها ...أود أن أشكر جميع نساء العالم ، أشعر بالامتنان والفخر لأنني منكن

خالص الحب والتقدير لصديقتي السورية الجميلة " فيدان " على جميع المعلومات التي تخص (اللاجنسية) وموافقتها على استعارة اسمها في الرواية

كامل الحب و التقدير لك صديقتي العزيزة

أما عن الجميلة " إسراء أحمد " أود أن أشكرك على روحك الحلوة يا أم روح حلوة

*****

الفهرس

إهداء

..... ٥

مقدمة ٦

الفصل الأول ٨

"مأساة الشعر المجعد" ٨

الفصل الثاني ٢٣

"الفراش الجليدي " ٢٣

الفصل الثالث ٤٩

" هروب حورية البحر " ٤٩

الفصل الرابع ٦٢

" انتحار السندريلا " ٦٢

الفصل الخامس ٧٣

"دموع على قطعة قماش" ٧٣

الفصل السادس ٨٥

" امرأة في سن الأربعين " ٨٥

الفصل السابع ٨٩

" فيلا 70 " ٨٩

الفصل الثامن ٩٥

" أم روح حلوة " ٩٥

الفصل التاسع ١٠٤

" كيميت " ١٠٤

" الفصل العاشر" ١٢٢

" الرقصة الأولى " ١٢٢

الفهرس ١٢٩

*****